الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ● العدد الحادي والثلاثون ● غرة رجب ١٣٨٧ هـ — ٥ أكتوبر ١٩٦٧ م





الأقطاب الثلاثة

سمو الأمير المعظم ، وفخامة رئيس الجمهورية العربية المتحدة وجلالة عاهل المملكة العربية السعودية في اجتماع تاريخي باركته عناية الله وذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم.

صورة الغلاف



سبحـــان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنــــا إنه هو السميع البصير

صدق الله العظيم

سورة الاسراء آية (١)

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادي والثلاثون
ـ السنة الثالثة ـ

غرة رجب سنة ١٣٨٧ هـ
٥ اكتوبــر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غُرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيـــة

الثمن

الكويت	٥٠ فلســا
السعودية	١ ريـــال
العـراق	٧٥ فلســا
الأردن	٥٠ فلســا
ليبيــا	١٠ قروش
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلســا
لبنان وسُوريا	٥٠ قرشــا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينــار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـــة
ص. ب ١٣ هاتــف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) .
((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) .

حقيقتان من حقائق هذه الحياة ، أو سنتان من سنن الله فيها يسجلهما القرآن الكريم .

فالصراع بين أهل الحق وأهل الباطل أمر لا مفر منه ، ضرورة الصراع بين الخير والشر ، والتنازع الدائم بينهما أو بين من يمثلهما على هذه الارض .. ولو لم يكن للخير أنصار يدافعون عنه لطغى الاشرار على هذا الوجود ، وفسدت الحياة .

ولا يهولن أهل الحق ما يصيبهم من هزيمة أمام أهل الباطل .. فان الباطل له صولة وله جولة : ولكن الامر مع ذلك لا يدعو الى اليأس ، ولا يحمل المدافعين عن الحق الى التخلى عن واجبهم ، فان الاحداث تتقلب تقلب الليل والنهار .

فلئن انهزم أهل الحق اليوم ، لينتصرن غدا ، ما داموا منتصرين لحقهم ، متصلين بربهم ((ولينصرن الله من ينصره)) .

تلك سنة الله فى عباده ، ان لم تجدها متحققة بصورة مطردة فى حياة الافراد ، لقصر أعمارهم ، فانها تتحقق باطراد فى حياة الامم . وحوادث التاريخ فى الماضى والحاضر واقع تطبيقى لهذه السنة ..

ولقد جرت عادة الناس كذلك أن يفتشوا عن أسباب هزيمة المغلوب ، وقد يبالغون فيها ، بل قد يعدون منها ما ليس له صلة بها .. ولكن هكذا العادة ..

والهزائم التى تصيب الامم فى حروبها هى أقسى أنواع الشدائد التى تنزل بها ، ولهذا كانت أقسى امتحان لمعدنها وايمانها . والامم تمتحن بالشدائد ، كما يمتحن الافراد ..

بل قد تكون الاصابة بالمحن للفرد أو الامة ضرورة لا بد منها ، لتفيق من غفلة ، وتتيقظ من رقدة ، وتراجع نفسها ، وتصحح طريقها ، قبل أن تنزلق الانزلاق النهائى الى الهاوية ..

والله سبحانه يقول للمؤمنين الذين انهزموا فى احد بعد انتصار ((ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)) ويقول : ((وليمحص الله الذين آمنوا)) ويقول : ((ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب)) . ثم فى آية أخرى يهز نفسية الفزعين عند الشدائد ، وينبههم الى سنته فى عباده ، فيقول : ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) أى وهم لا يمتحنون بالشدائد ، ليتبين معدنهم الاصيل والزائف : ((ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) .

تلك سنن الله في عباده .. وهذا هو امتحان لهم ..

فالشدائد امتحان ودرس مر مرارة الدواء للمريض .

ولست مبالغا أو متجنيا اذا قلت : اننا كنا ـ نحن المسلمين العرب بخاصة ـ فى مسيس الحاجة الى هذا الدرس .. وهذا الامتحان .. فقد كشف لنا تماما عن واقعنا ، أو عن مرضنا الذى عشنا به طوال هذه السنين . ونحن جاهلون به ، أو متجاهلون له ، ومنصرفون ـ مع الاسف ـ الى كل ما يضاعف من شراسته ، ويمد له فى خطره .. برغم بعض الاصوات المخلصة التى ارتفعت تحذر وتنذر ..

بعض الناس قد يضايقه هذا الكلام ، ولكنه الحقيقة . ونرجو ألا تضيع كما ضاع غيرها من قبل ..

وبعض الناس يخدع نفسه ، ويلقى اللوم كل اللوم على أعدائنا .. ولكن هذا الصنف من الناس ضعيف أمام نفسه وأمام الناس ، بل غير مخلص لنفسه ولا للناس .. لم يعرف أولا أن الايام دول وأن زمام النصر قد يفلت من الايدى لسبب صغير ، وأن من الخير ان يعرف أسباب مرضه ليداويه وينقض على عدوه ، بدلا من تركه المرض يفترسه ويقضى عليه ..

ان الامة الواعية هى التى تنتبه سريعا الى أمراضها ، والى مكامن الداء فيها وتستفيد من الشدائد التى تقع بها . وان من الخير أن يتحمل كل منا نصيبه من مسئولية فيما نحن فيه الآن ، دون أن يدفعنا ذلك الى اليأس . أو القاء الثقل كله على الآخرين .

ان الهزيمة اذا كانت جرحا مؤلما حقا ، فان من أوليات الاسعاف أن نسرع بمداواة الجرح ، ومن الخطر أن يروعنا منظر الدم فننهار ، ونجلس نبكى كالاطفال .. ومن الخطر كذلك أن نستهين بالجرح ، ولو كان صغيرا ، فلربما يودى بالحياة فى النهاية .. وكثيرا ما ذهبت شكة الشوكة بحياة أناس لم يشعروا بها ، أو شعروا بها ولكنهم استهانوا بخطرها .. وقد يودى الطبيب بحياة من جاءوا اليه ، يلتمسون أسباب الشفاء على يديه ، لأنه لم يعرف أمراضهم ، أو عرفها ، ولكنه لم يشخص الدواء المناسب لها ..

ونحن المسلمين قد أصابنا الاستعمار بما أصابنا به ، هذا حق .. ولكن من الحق أيضا أنه رحل عنا ، وترك لنا أمورنا نتحمل مسئوليتها ـ فكيف عالجنا أمراضنا ؟.

لقد مرت سنون كان من الممكن أن نقضى فيها على أمراض كثيرة ، لو أن جهودنا كلها انصرفت الى القضاء على هذه الامراض بالدواء المناسب . ولكن

مع الأسف .. انصرفنا الى مضاعفتها وتحميل الجسم المنهوك القوى أمراضـا وأثقالا أخرى تهد كيان الجسم السليم ..

حاربت الامة العربية الاستعمار ، لتباشر أمورها بنفسها ، ويكون الامر فيها لأبنائها المسلمين ، الاخوة المخلصين لها ولمصالحها . المتكاتفين فى سبيل النهوض بها .. ومع ذلك كان ما رأينا مما لا أذكره لأنك تعرفه .

لا أريد هنا أن أغمط العاملين حقهم ، ولكنى لا أستطيع كذلك أن أغمض العين عما قاسيناه من بعضنا البعض وعما سقاه الاخ لأخيه من مرارة اشهد بالله أن الغريب لم يكن ليجرؤ عليها ..

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسـام المهند

هذا حق لا بد أن نقوله ، لأنه يتردد فى كل نفس ، ولأننا فى هذه الفترة فى حاجة الى تشخيص المرض والبحث عن الدواء .

واذا كانت الحكمة المشهورة تقول : ((اذا عرف الداء سهل الدواء)) فاننى أقول معها نعم سهل معرفة الدواء . ولكن يبقى ان تتقبله نفس المريض ويتجرعه. وهذا هو الفيصل فى الشفاء .

ولقد انعقد مؤتمر القمة ، واحطناه بقلوبنا ، وصدرت عنه قرارات رحبنا بها ، وفيها للجسم المريض بعض الدواء . ومع ذلك فلا نزال نمسك قلوبنا بايدينا فى انتظار مرحلة التنفيذ .. وندعو الله .. فقد صدرت من قبل قرارات طيبة .. ولكن لم يكتب لها الحياة ..

ولقد مرت علينا عشرون سنة بعد ما سميناه نكبة ، وسمعنا الكثير من الكلام الجميل ، ولكن قاسينا الكثير من العمل المعوج . ولم يكن واحد منا على مستوى الاحساس بالنكبة .. لم تأخذنا غيرة لأنفسنا . ولا للحق المضـاع على أيدينا ، ولا بما أصابنا ونحن دول لها جيوش مسلحة على يد عصابات .. ومرت السنون ، ونحن نحيا بعارنا .. ولكن أية حياة ؟!

عشرات الملايين منا يمشون بين أمم أهل الارض كأن لم يصبهم شىء .. لا يشعرون بما يحملونه من أوزار ، ولا بما ينوءون به من عار ، ويتصرفون فى حياتهم كأن ليس لهم ثار !! ترف ومجون . وخلاف . وتطاحن وفساد . وهـذه كلها جراثيم تقضى على الاقوياء ، وتحيلهم الى تعساء ، فكيف تفعل فعلهـا فى الضعفاء ؟!

حتى كانت الوصمة الاخيرة .. وكنا كالرجل العملاق ، يركب ظهره غلام صغير ، ويوسعه ضربا ولكما ، ويتركه غارقا فى دمائه ودموعه ، و .. عاره . فهل ينتظر هذا العملاق أن يلقى من الناس التقدير والاحترام ؟!

رأيت مرة رجلا يضرب ابنه الفارع الجسم فى غيظ وقسوة .. وتعجبت ، وتدخلت لأهدئه ، ثم علمت منه أنه ثار على ابنه هذا الطويل العريض ، لأن ولدا صغيرا ضربه ، ولم يستطع حتى الدفاع عن نفسه ، بل جاء اليه يبكى ويشكو !! وثارت نفسى على هذا الجسم الخائر ، وندمت لأننى خلصته من يد أبيه ..

ولا أظن أن موجة السخط التي عمت الغرب علينا حتى تصرف مع بعض الافراد العرب هناك تصرفات مخزية وقحة سمعناها منهم الا كان من أسبابها أن مائة مليون عربي وجدوا هذا المصير على يد مليونين من الصهيونيين !!

ونحن هنا نثور ونسخط لهذا التصرف ، ولا نثور على أنفسنا ، ونسخط على تصرفاتنا .

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

هل نريد من الناس أن يحترمونا ؟

لا بد أولا أن نحترم أنفسنا .

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هوانا بها كانت على الناس أهونا

هل نريد من الدول أن تقف معنا تساندنا في حقنا ؟

لا بد أولا أن نقف نحن متساندين متعاونين ، وأخوة متكاتفين .

هل نريد من الله أن ينصرنا على أعدائنا ؟

لا بد أن نكون على صلة طيبة به وبدينه حتى يستجيب لنا ويعيننا .

فهل كنا كذلك خلال العشرين سنة التي مرت بنا ؟!

ان ما أصابنا لم يكن الا النتيجة الحتمية لأعمالنا كل هذه السنين ((وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)) ولقد كان حقا وغريبا معا أن نسمع أحد المسئولين بعد هذا الرزء يقول : ((اننا دخلنا الحرب دون أن نعرف طريق النصر)) .

وهذه حقيقة ولكن ما أقساها ..

ومتى قالها ؟.. قالها بعد أن فقدنا ما فقدنا ، حتى لم تعد تمر دقيقة علينا الا ونحن نتجرع الغصص ، ولا أدرى كيف تحملنا ، ونتحمل كل هذا ؟! وأولى القبلتين وثالث الحرمين في يد أعداء الله .. وكيف يكون حالنا وذكرى اسراء الرسول صلى الله عليه وسلم تمر بنا ؟! محنة قاسية صنعناها بايدينا !! لأننا طول هذه السنين لم نعرف طريق النصر .. وكيف غاب عنا ؟.

ان طريق النصر لم يتركنا الله نضرب في متاهات البحث عنه ، بل ارسل رسوله به ومن أجله . ودل عليه ، ودعانا اليه ، وهو يقول : ((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)) .

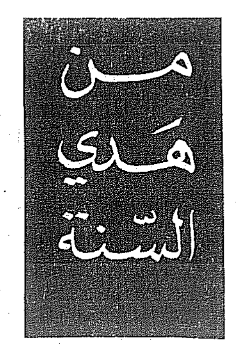
فلم يكن طريق النصر مجهولا ولكنا نحن الذين تركناه . ومع ذلك فهل نرجع اليه ونسير عليه ؟

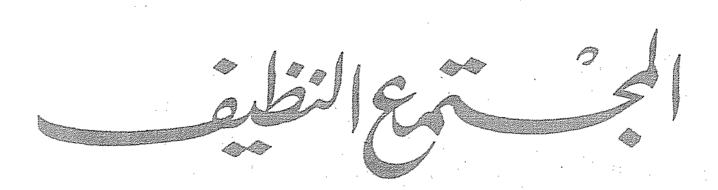
ذلك أمر يتوقف على مدى احساسنا بنكبتنا ، وعلى اخلاص نوايانا ، وعلى صدقنا مع أنفسنا ومع أمتنا ، ومع الله أولا ، ونحن نستمد العون منه ، يتوقف على استعدادنا لأن نسلك هذا الطريق بكل التزاماته من جد ، واخلاص ، وتضحية من أجل كرامتنا وعزتنا ، من أجل شرفنا وصيانة أعراضنا ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، وكفانا ما جره علينا استهتارنا ، وبعدنا عن الله ، وتمردنا على تعاليمه .

و ((استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)) .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة





للشيخ : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عز وجل فهو الى الله ، ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك » .

(رواه البخارى ومسلم وغيرهما)

تمهيد :

الاسلام عقيدة مستقرها القلب ، ودوامها بالفناء فيها ، وغذاؤها ذكر الله عز وجل والسير غير ذى العوج على الجادة التى سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضح معالمها ، ونتاجها العمل الدائب لخير المجموعة البشرية ، بل والمخلوقات جميعا حتى الجماد منها ، مع التصميم المؤكد ، والدءوب المستمر للوصول الى الغاية التى ترنو اليها ، والهدف الذى أحكمت من أجله ، والامل الذى تنشده واقعيا .

وأقوال سيد الخلق دائما تلقى ضوء التوجيه الالهى على دجنات الوجود ، ليتمكن السارى من العبور دون تعثر غير مكب على وجهه ، وانما يمضى سويا على صراط مستقيم ، والحديث الشريف موضوع البحث يعالج مشكلات مزمنة عاصرت وجود الارض منذ أن كان لآدم عليها وجود ، ويصف علة العلل فى كل داهية دهياء وملمة عمياء ، ثم تتعاقب فى طى الكلم الشريف اشارات الى

تعريف موجز براوى الحديث : هو عبادة بن الصامت (بضم العين) الانصارى الخزرجى رضى الله عنه ، كان أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة ، وقد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه وجهه الى الشام قاضيا ومعلما ، فأقام فى حمص ، ثم انتقل الى فلسطين ، وهو أول من ولى القضاء بها ، وروى له مائة وواحد وثمانون حديثا ، ورد منها فى صحيح البخارى تسعة أحاديث ، ومن صفاته الخلقية (بكسر الخاء المعجمة) أنه كان طويلا جميلا ، ومن صفاته الخلقية (بضم الخاء مع اللام) أنه كان يحب الخير واسداء الجميل لكل من عرفه ومن لم يعرفه ، وتوفى فى خلافة معاوية وقد ناهز الثانية والسبعين ، ودفن فى بيت المقدس .

زبالات (١) تتراءى لضعيف الادراك ، أنوارا لألاءة ، كما يتوهم الظمآن الصادى الثمالة كأسا مترعة .

خمسة أشياء (٢) لو أنها اختفت من مجتمع ما لصار مثلا طيبا يحتذى ويدار فى فلكه ، والمقيم عليها مقيم على دخن فى العقيدة بل وفى وجوده من حيث هو كائنة فى بناء عام ، يبيته القلق النفسى ، ويصبحه الالم الحسى ، ومصيره الى شفا جرف هار يهوى به فى واد سحيق من الضياع والفناء ، كما يمضى الجيل المعاصر فى الغرب على غير هدى ودون تبصر ، تطعمان من البشر ضلت الطريق السوى ، ونام راعيها أو بالاحرى سار نفس المسير ، ولنأت عليها الواحدة بعد الاخرى تفصيلا وايضاحا للمراد ، وتبيانا للناس ، وتبليغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الصادق المصدوق :

(بايعونى) والبائع هنا المؤمنون ، والمشترى هو الله تبارك وتعالى ، وواسطة العقد سيد الخلق ، والبائع يترك سلعته لدافع الثمن ، والربح فى هذه البيعة ربحان ، بعد عن مهاوى الهلاك ، وأجر مضاعف ، والعجيب فيها أن ينأى المؤمن عن الخطر ويتقاضى خيرا فوق خير ، وهذا فضل يستوجب الشكر ، وكيف يوفى المخلوق شكر الخالق مهما طال الاجل وامتدت الاقامة فى الدنيا ، فنعم الله لا تتناهى ، ولهذا قيل :

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة   له على فى طيها يجب الشكر

فكيف وفاء الشكر الا بفضله   وان طالت الاسباب واتصل العمر

١ ــ **(على أن لا تشركوا بالله شيئا)** : بعد بحث طال أمده ، واستقصاء استمر حقبة من الدهر ولا يزال ، واستقراء لما أمكن استقراؤه من حوادث الحياة ، وتتبع لمجتمعات بدت ثم بادت ، وأخرى لا زالت فى الطريق تعبر ، تتوقى الوهج ، وتحاذر القر ، تكون (بتشديد الواو المكسورة) القافلة فى صورة مختلفة شكلا ، ومتحدة فى اللب .. أقول بعد هذا كله .. وضح لطالب الحقيقة أن الايمان بالله وتوحيده وجميع ماله سبحانه من صفات الكمال بلسم شاف ، ودرع واق من البوار الذى يحيق بالانسانية الضالة ، فمن آمن ووحد ، أحب الواحد الاحد ، ومن أحب اتبع ، ومن اتبع تابع ، وفى ظل هذا الاتباع للقيومية المطلقة ، تتلاشى الضلالات وتذوب آثارها كما يتلاشى الجليد تعرض لحمارة القيظ ، بعد أن جمعته صبارة الزمهرير ، وذلك حين يعرف الانسان قدره ، ويزن الامور بميزان الشريعة شريعة الله وحده .

وقد يحاول الفانى ، أو يتساءل وأين البرهان ؟ والجواب فى نفس تركيبه ، وصلب تكوينه ، يتحدث طويلا عن ليل صار نهارا أو كاد ، وعن مسافات تلاشت ، وبحار انكشف بعض سرها ــ ولا أقول كله ــ وفضاء اجتيحت حرماته ، ومع كل

---

(١) زبالات : جمع زبالة . وهى الضوء الخافت ، أو ما يتبقى من زيت السرج ، والمراد هنا المعنى الاول .

(٢) قال بعض العلماء الشىء عندنا هو الموجود .

هذا يقول الانسان : أين الدليل ؟ ولو تأمل المعلومات الضئيلة التى كشفت له بواسطته ، لأدرك أن العامل الاصيل فى كشفها ــ كما يبدو ــ عقله ، وما عقله الا من صنع غيره ، ولا حاجة أن نذهب الى أبعد من هذا ، فالوجود الاضطرارى والفناء الملاحق لا علة لهما ولا سبب الا أن القادر أراد فأوجد ، وضع للنهاية حدا لا تعدوه وميقاتا لا تتخلف عنه (الذى خلق الموت والحياة) .. وطريق العلم مفتوح والمارون فيه كثر ، ومهما اتسع الكشف وحسنت النتائج أو ساءت فمـــا أوتيتم من العلم الا قليلا .. أفبعد هذا يشرك عالم مستنير ؟ ولو كان عالما مستنيرا ما أشرك ، ولو ترك الجميع الشرك لسادت الانسانية الفاضلة ، وعم الوجود سـلام دائم فى ظل توحيد الله وتمجيده . ولكن متى ؟ علم ذلك عند من استأثر بالغيب تعالى وتقدس : وفى قوله الشريف عليه الصلاة والسلام : لا تشركوا بالله شيئا دقة غير متناهية ، ف (شيئا) يشمل كل شىء ، وذو الحظ العظيم من أدرك وعرف .

٢ ــ ولا تسرقوا : ما السرقة ؟ وما سببها ؟ كيف الخلاص منها ؟

السرقة كما ورد فى بعض تعاريفها : أخذ المال المعصوم خفية من حرز مثله ، فالمأخوذ هو حق الغير ونتاج جهده وكده ، لا حق فيه للآخذ بعد أن حصل عليه صاحبه وأحرزه وصار ملكا له بطرق مشروعة (١) ، فالآخذ ظالم معتد اثيم لأنه تعدى وضعه فى مجتمعه ، فهدد الأمن وأخاف الناس ، وآذى غيره بغير جريرة ، وهو أى الآخذ يعلم ذلك ولا ينكره فتخفيه دليل على علمه بعدم مشروعية عمله ، والعلة قد تتعدد وتتنوع ولكل شىء أسباب ودواع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ــ مبلغ عن ربه ــ ولا يطلب الابتعاد عن السرقة الا بعد منع أسبابها المكنة المنع ، فاذا تحقق لكل انسان مطلبه فى مجتمعه ، وصارت السرقة جبلة وعادة فلهذا علاج حاسم .

فالمجتمع الاسلامى الذى أمر الله بتحقيقه واقعيا هو الذى لا يعرف الحقد الى أهله سبيلا ، فالكل طاعم كاس ، فاقه ، واع ، مدرك لما يحيط به ، لا يشكو ألمــا ولا فقرا ولا جوعا ، ولا جهلا ، مجتمع كل أفراده يعملون ، ويتعاونون على البر والتقوى ، تلاشت فيما بينهم الخصومات ، وعقدت قلوبهم على المحبـــة والوداد ، تكافل يشمل المجموع ويعم الجميع ، ويقوم به كل مواطن فى حدود قدرته ، وفى دائرة اختصاصه ، ذلكم هو المجتمع الذى تخلص من موجبات السرقة والاختلاس ، فبعد هذا كله : لا تسرقوا . وهل النهى ينهى الداء ، هو نهى وهو دواء ، والتمادى فى الخلاف له علاج آخر مبسوط بأدلته واسانيده عند فقهاء الاسـلام .

٣ ــ ولا تزنوا : ثالثة الاثافى ، انتهاك للمحرمات ، واعتداء على الاعراض ، وقلب للحقائق ، ينتج اختلاط أنساب ، وعفونة أخلاق ، ودواعيه رعونة شهوات

---

(١) أقصد بالطرق المشروعة ما شرعه الله تعالى وحده .

لا تليق بمجتمع ينشد القوة ، ويمجد الفضيلة ويسعى لقيادة الدنيا الى الطريق السوي ، ولكل شهوة اكتفاء مشروع ، وحق مقرر ، وطريق مرض من رب العالمين ، فلا داعي الى الالتواء ، اللهم الا شذوذ الطباع ، واعوجاج المسالك ، والبعد عن الصواب . أين الكمال في مجتمع جهلت فيه الانساب ، وضاعت صلاة ذوى القربى ، وعفت فيه آثار التراحم ؟ الجواب لا كمال ولا قرب منه بل انهيار وانحطاط وتلاش وفناء ، ولهذا ينادى الاسلام بحزم واصرار ان كنتم مؤمنين — بايعوني على أن لا تزنوا . والحلال بين والحرام بين .

وفي الدنيا المعاصرة مجتمعات تسمى نفسها راقية ، قد سمت الاشياء بغير اسمائها ، فقلبت الحقائق . وأصبح الفجور عند أهلها : حرية ، والتلاقي غير المشروع : انسانية ، وتغيير خلق الله : فلسفة ، وبئست تلك الفلسفات الحقيرة الخفيفة في ميزان العقول العاقلة ، تلك لعمر الله مجتمعات تتنزى سما ، وتقطر قيحا ودما ، ولا بد أن تتهاوى وان طال الزمان ، فقد طلعت الشمس يوما على أقوام ودول قويت شوكتها وتسلطت على المعمورة في أيامها ، وحين شاء الله لها الزوال — استدرج أهلها من حيث لا يعلمون فزين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنا وجعلوا للجمال الها عبدوه ، وللحب الجسدى الها يصمى بسهمه القلوب المستعدة ، وكانت عاقبتهم أن دمر الله عليهم ، وللسائرين في دربهم امثالها ، ويمر الآن أمام ناظرى نفسي (الفلم) بصور ممثليه ومشاهديه كما حدث التاريخ ، وكما قرأت ذلك ووعيته منذ زمن طال أمده وهأنذا أراه واقعيا . فالقوم صائرون الى ما صار اليه آباؤهم من قبل ، والحمى والوقاية والقوة والايد في دعوة الاسلام القوية المدوية (لا تزنوا) فهل من مدكر — (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) .

٤ — ولا تقتلوا أولادكم : وهل يقتل الانسان ولده ؟! انه لأمر عجاب محير للألباب ولكن بعض الوقائع تؤكده والقرآن الكريم يحكيه ، وانا لنرى ونسمع أناسا من الناس قتلوا أولادهم قتلا حقيقيا ، فيه ازهاق للنفس ، ومواراة البدن تحت الصفائح والجنادل وآخرون يقتلون ولكن في صورة أنكى وأشد فالقتل عند الوائدين لا يتعدى أثره نفسين أو ثلاثة شخوص ، أب مؤاخذ وأم ثكلى ووليد مهضوم مجار عليه ، وأما القتلى الآخرون ، فلم يموتوا وحدهم ، ولكن يميتون معهم أمما ودولا ، والمتبصر يرى عقولا خربة ، ومسالك معوجة ، سيسوس أصحابها أجيالا قادمة .. واذا كان الغراب دليل قوم .. فالبيعة هذه مستمرة ولم تنته بانتهاء الوأد ، وانما هي دائمة ما دام أولو الامر غافلين عن تربية الاجيال الصاعدة ، وما دام الآباء في غيبوبة دائمة عن ضلال الابناء .

الاسلام ينادى — لا تقتلوا أولادكم ، لا تئدوهم ، ولا تتركوا لهم الحبل على الغارب ، فيشب الولد غير عابىء بواجب الابوة وغير معترف بحق الاسرة عليه ، وغير مكترث بأمته ، ومتى ضاع الجيل الصاعد فقد ضاعت الامة وتلاشت ، ولهذا عنى الاسلام بالناشئة وحث على حسن تربية الابناء ليبنى أمة تقود الامم ، وتكون شهيدة على غيرها ، مؤدية لرسالتها الانسانية الشريفة ، كما أمر بها .

******************** (البقية صفحة ١٩) ********************

حول اعجاز الق

« أم يقولون افتراه »

ثلاث كلمات كريمة أنكر الله بها على مشركي العرب فى الماضى ، ومستشرقى الغرب ومن لف لفهم فى الحاضر ، نسبة القرآن الكريم الى محمد (صلى الله عليه وسلم) افتراء منه على الله فيما زعموا . والفعل المضارع فى العربية يدل على التجدد كما يدل على الحاضر ، والقرآن كتاب الله مخاطب به الناس فى كل عصر حتى تقوم الساعة .

وقد وردت الكلمات الكريمة الثلاث ، بما فيها من انكار وتعجيب ، فى آيات خمس من القرآن الكريم ، آيتــان فى سورة هود ، وآية فى سورة يونس ، وآية فى الاحقاف ، وآية فى سورة السجدة .

فأما آيتا سورة هود ، فأولاهما هى ثانية الآيتين الكريمتين : « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انمــا أنت نذير والله على كل شىء وكيــل (١٢) . أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (١٣) » وهى آية التحدى المكى بعشر سور مثل القرآن .

وثانية آيتى سورة هود هى قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون (٣٥) » .

وأما آية سورة يونس فهى ثانية الآيتين الكريمتين : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٣٧) . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثـــله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٣٨) » . وهى آية التحدى المكى بسورة مثل القرآن .

وأما آية سورة الاحقاف فهى ثانية الآيتين الكريمتين : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لـــما جاءهم هذا سحر مبين (٧) . أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيــه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) » .

وأما آية السجدة فهى ثانية الآيتين الكريمتين : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢) . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) » .

ـرآن الكريم

الدكتور محمد أحمد الغمراوى

هذه الآيات الكريمة قد ذكرت حسب ترتيب نزول الوحى بسورها الا فيما يتعلق بآيتى التحدى فى هود ويونس ، فأكثرية المفسرين على أن التحدى بعشر سور ، كما فى آية هود ، قد كان قبل التحدى بسورة ، كما فى آية يونس ، وان كان تاريخ النزول يقول ان سورة يونس نزلت قبل سورة هود عند الاكثرية .

فهناك اذن موقفان متناقضان بالنسبة لآيتى التحدى فى السورتين من حيث ترتيب نزول الوحى بهما : أكثرية من المفسرين تأخذ بالمعقول وتقول أنه لا معنى للتحدى بعشر سور بعد التحدى بسورة ، فان الذى يعجز عن سورة هو عن عشر سور أعجز ، واذن فترتيب نزول الوحى بالآيتين غير ترتيب نزوله بالسورتين ، وقلة من المفسرين نأخذ بالمنقول وتجعل ترتيب نزول الوحى بالآيتين هو عين ترتيب نزوله بالسورتين لأنه لم يرد بالعكس نص ، ثم تحاول ايجاد معنى للتحدى بعشر سور بعد التحدى بسورة .

هذا وضع لا يمكن السكوت عليه ، لأن أحد الفريقين لا شك مخطىء . صحيح أن الحجة العقلية هنا غالبة واضحة ، لكن النقل أيضا ينبغى أن يكون له وزنه . والتناقض بين العقل والنقل ممتنع عند صحة الاثنين ، فلنتبين مواطن الضعف فى موقف المحتجين هنا بالنقـــل ، ومواطن القوة فى موقف المحتجين بالعقل ، حتى اذا تبين أن ليس فى النقل ما يضعف حجة الآخذين بالعقل ، أمكن النظر فى الآيات الكريمة الخمس على ترتيبها عند الكثرة الغالبة من المفسرين من غير أن يكون هناك موضع للتشكيك فيه .

سورة يونس نزلت قبل سورة هود عند الاكثرين . لكن هذا لا يدل على أن آية التحدى فى يونس نزلت قبل آية التحدى في هود الا اذا تحقق أحد احتمالين : أن كلا من السورتين نزلت جملة ، أو أن سورة يونس تم نزولها قبل أن ينزل شيء من سورة هود . وليس في النقل ما يؤيد شيئا من هذا . فالسور التى جاء النقل بنزولها جملة قليلة معدودة ، منها سورة المرسلات ، وليس من بينها يونس ولا هود . ولقد أحصوا تلك القلة من السور ، على خلاف فيها ، لأن الاصل فى نزول القرآن أن الله سبحانه قد أنزله نجوما ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يؤمر اذا نزل النجم أن يضعه فى سورة كذا بعد آية كذا أو بين آية كذا وآية كذا ، حتى لقد كان ذلك موضع تعجب واستغراب واعتراض من المشركين ، وأهـــل الكتاب ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله من سورة الفرقان « وقالوا لولا نزل عليه القرآن جمـــلة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » . حتى السور القصار التى هى مظنة

أن ينزل الوحي بكل منها جملة لم تنزل كلها كذلك . فسورة العلق وهي أول ما نزل لم تنزل جملة كما هو معروف ، وسورة الضحى لم تنزل جملة كما ذكر السيوطي في الاتقان . بل من السور القصار ما نزل أوله بمكة وباقيه بالمدينة كسورة الماعون فيما حكاه صاحب الاتقان وكما ذكر في ديباجة السورة في طبعة المصحف التي أشرفت عليها اللجنة التي رأسها المرحوم الشيخ محمد الشهير بخلف الحسيني شيخ المقارىء المصرية في ذلك العهد . وكذلك الامر في السور الطوال. كثير من مكيها يحتوى آيات مدنية ، وقليل من مدنيها يحتوى بعض آيات مكية وهو أعجب وأدل على أن أكثر السور القرآنية كان اذا نزل أولها لم تكن تستتم قبل نزول أول غيرها. بل الحكم على السورة أمكية هي أم مدنية كان تابعا لأولها اذا نزل بمكة كانت مكية واذا نزل بالمدينة كانت مدنية فيما نقل صاحب الاتقان عن ابن عباس . قال (١) « كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء » ولازم هذا أن الامر كان كذلك اذا نزلت فاتحة سورة بالمدينة . واذن فمعنى نزول سورة يونس قبل سورة هود بمكة أن فاتحة يونس نزلت قبل فاتحة هود ، لا أكثر من هذا . أما بقية كل من السورتين فقد نزلت نجوما حسب الاصل في نزول القرآن نجوما تبعا لحكم الله وحكمته في الحوادث التي لم يكن يعلم مواقيت وقوعها الا هو سبحانه . بل ان في نجوم هاتين السورتين ما هو مدني ذكره صاحب الاتقان (٢) وأشارت اليه لجنة الشيخ خلف الحسيني في ديباجة كل من السورتين (٣) على اختلاف بينهما في الآية (٩٦) من سورة يونس . ومن أعجب العجب أن تقع الحادثة بالمدينة ويلحق النجم الذي نزل فيها بسورة مكية ، أو العكس . لكن لله في ذلك حكمة لا شك ، منها أن يكون في ذلك دليل على أن القرآن من عند الله لا من عند بشر ، اذ قد نقض تأليفه بهذا عادة البشر في التأليف مع تمام الانسجام في المعنى والتعبير . وقد أقام المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز من سنة الله هذه في القرآن دليلا (١) طريفا قاطعا على أن القرآن لا يمكن أن يكون الا من عند الله .

فمن الواضح أن السورتين الكريمتين لم تستتما كلتاهما الا في المدينة وان استفتحتا في مكة ، وأنه لا يلزم من نزول فاتحة يونس قبل فاتحة هود — وهذا هو معنى نزول سورة يونس قبل سورة هود كما هو لازم قول ابن عباس المنقول آنفا — ان جميع نجوم يونس قد نزلت قبل جميع نجوم سورة هود حتى يصح لقائل أن يقول ان آية التحدي في سورة يونس قد نزل بها الوحي قبل نزوله بآية التحدي في هود بالرغم من أن التحدي بسورة لا ينبغي عقلا أن يكون قد وقع قبل التحدي بعشر سور مثل القرآن .

على أن هناك رواية عن ابن عباس ذكرها صاحب الاتقان في الفصل الذي حرر فيه السور المختلف فيها تقول ان سورة يونس مدنية . صحيح أن هذا لا يعني ، حسب المنقول عن ابن عباس سابقا ، الا أن أول يونس نزل في المدينة بدلا من أن يكون نزل بمكة حسب ما اختاره الاكثرون عن ابن عباس أيضا . لكن هذا الاختلاف في سورة يونس هل هي مكية أو مدنية يذهب بأية بقية يمكن بعد كل الذي قدمناه ، أن تكون قد بقيت من الشبهة النقلية التي تمسك بها القلة من المفسرين في معارضة الحجة العقلية التي حملت الكثرة على القول بأن التحدي

---

(١) ص ١٠ من الجزء الاول من الاتقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة مصطفى الحلبي .

(٢) ص ١٥ الجزء الاول .

(٣) المصحف الشريف طبعة المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٥٥ هـ .

(١) كتاب النبأ العظيم ص ١٤١ — ١٥٩ من الطبعة الاولى ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

بعشر سور قد كان قبل التحدى بسورة مثل القرآن . واذا كان لا بد من تكييف آخر للموقف ، فالحجة العقلية فى وضوحها وقوتها تحسم ذلك الخلاف بين الروايات النقلية ، وتكون هى الدليل على أن الرواية الصحيحة هى التى تتفق مع ما يقتضيه العقل من أن التحدى بسورة لا يمكن أن يكون قد وقع قبل التحدى بعشر .

على أنه لا داعى حتى الى مثل هذا التكييف اذا تتبعنا طبيعة ما يترتب على كل من الموقفين . فموقف الكثرة هو الترقى فى التحدى . هو الترقى من التحدى بالقرآن جملة الى التحدى بعشر سور مثله الى التحدى بسورة مثله ، ثم الى التحدى بسورة من مثله مع التنبؤ بأنهم لن يستطيعوا ولن يفعلوا ، ومع عدم تقييدهم فى السورة بطول ، فليختاروها أقصر سورة اذا شاءوا . هذا الترقى فى الالزام وقطع العذر يتمشى مع سنة الله فى الترقى بعبـاده فى التشريع ، والتدرج بهم فى الفطام عما ألفوا الى ما يريد سبحانه أن يستقر عليه الدين ، كما هو ثابت فى تشريع الصلاة وتشريع الصوم وتحريم الخمر وتشريع القتال .

أما موقف القلة فى قولهم بالتحدى بسورة ثم بعشر سور ثم بسورة من مثل النبى فى أميته ، فهو خلط وخبط يخالف تلك السنة الالهية ، ويفتح الباب للملحد أو مستشرق أن يقول : ان المتحدى تراجع فى تحديه — تراجع من سورة الى عشر لـما أحس أن السورة على اطلاقها هى فى متنـاول الجميع . ثم تراجع من التحدى بعشر الى التحدى بالقرآن كله فى آية الاسراء لـما خاف أن تكون السور العشر على اطلاقها فى مقدور الفصحاء من أهل العلم والادب ان لم يكن فى عصر ما ففى ما يستقبل من العصور . ولا ينفع مع الملحد أو المستشرق أن يقال له ان سورة الاسراء نزلت قبل سورة هود لأنه عندئذ ينكر تاريخ النزول ويحتج بموقف تلك القلة من المفسرين التى قالت ان التحدى بعشر سور قد كان بعـد التحدى بسورة ، لا قبله ، ويساعده فى موقفه المتعنت هـذا من تاريخ نزول السور أن ترتيب سورتى يونس وهود فى المصحف هو عين ترتيبهما فى تاريخ النزول عند الاكثرين ومنهم تلك القلة — وأن سورة هود فى المصحف تسبق سورة الاسراء . فموقف كموقف تلك القلة — يعين الملحد والمستشرق اليهـودى أو النصرانى على موقفه الباطل من القرآن ، وعلى القاء الشبه فى طريق الناشىء المسلم — هو لا شك موقف باطل ، لهذا السبب وحده ان لم يكن لكل ما تقدم من الاسباب .

أما وقد انجلى الموقف وتبين أن موقف الـكثرة من المفسرين هو الحق ، بالحجة بعد الحجة لا لمجرد أنهم الكثرة ، فلنحاول أن نتأمل الآيات الكريمة وموقع الاستفهام الانكارى العجيب (أم يقولون افتراه) منها ومن الآيات التى قرنت بها ، اللهم الا ثانية آيتى سورة هود فانها جاءت أثناء قصص نوح عليه السلام لتؤكد أن ما ورد فيه لا يمكن أن يكون من عند الرسول عليه الصلاة والسـلام كما كان يقول المشركون وأهل الكتاب . ولا يؤبه بقول من قال ان الخطاب فى الآية لنوح وان نسب القول لابن عباس ، فابن كثير الذى يفسر بالمأثور لم يذكر هذه النسبة ، ولو كانت صحيحة لذكرها ، ولـما قال ان الخطاب هو لمحمـد صلى الله عليه وسلم اعتراضا فى القصة لتوكيدها ، ولنفى أن تكون مفتراة ممن يعلم أن الافتراء له عقابه عند الله .

ويبقى الآن من الآيات المصدرة بتلك الكلمات الكريمة الثلاث أربع آيات كل مقرونة بسابقتها كما ذكرت قبل . فلننظر ماذا عسى أن يهدينا اليه تأمل هـذه الثنائيات الكريمة الاربع .

ثنائية سورة هود :

تتميز آية التحدى فى هود والآية قبلها من بين الثنائيات الاربع بأن الآية التى قبل آية التحدى مدنية ، فى حين أن بقية الآيات كلها مكية . ومدنية الآية ذكرها السيوطى فى الاتقان وأقرتها لجنة الشيخ خلف الحسينى فى ديباجة السورة فهى من ناحية مثل للنجم المدنى فى سورة هود ، وهى من ناحية اخرى مثل للنجم ينزل فيؤمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يضعه فى سورة كذا عقب آية كذا أو بين آية كذا وآية كذا . فهذه آية مدنية بين آيتين مكيتين . واذا قرئت الآيات بدونها — ويمكن القارىء أن يرجع الى مصحفه فى ذلك — كان الكلام مستقيما وان بدت آية التحدى كأنها شبه مستأنفة . لكن الآيات فى تتاليها الذى استقرت عليه ليس فيها من شبه الاستئناف شىء . فالكافرون الذين كذبوا النبى فيما أنبأهم به من أنهم مبعوثون من بعد الموت فى الآية (٧) ، ولم يصدقوا ما اوعدهم الله به من العذاب ان هم استمروا فى عنادهم متسائلين (ما يحبسه ؟) مع أنه اذا نزل بهم فلن يرفع عنهم كما فى الآية (٨) ، الحوا هم وأمثالهم فى المدينة على النبى أن يترك ذكر آلهتهم وآبائهم بسوء ، وأن يأتيهم بآية محسوسة من كنز ينزل عليه أو ملك يأتى معه كما يفهم من الكلمات الاولى فى هذه الآية المدنية التى حذرته صلى الله عليه وسلم أن يخفف عنهم شيئا من ثقل الدعوة ، ورغبته صلوات الله عليه وسلامه ألا يداخله ضيق من طلبهم منه ما لا يملك أن يجيبهم اليه ، فما هو الا نذير عليه أن يؤدى النذارة كاملة وان ثقلت ، ويكل ما وراءها من مصير الدعوة ومصيرهم الى الله الوكيل الرقيب الحسيب على كل شىء ، كما تصرح به باقى كلمات الآية . وهنا تأتى الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) استنكارا لمظهر آخر من عنادهم فى التكذيب بالوحى والقرآن ، وتمهيدا ليس فقط لدحض التهمة ، ولكن للرد على طلبهم نزول الكنز ومجىء الملك آية محسوسة بتنبيههم الى خمس آيات محسوسة بين أيديهم ، ألا وهى (١) خمس عشرات من السور الطويلة والقصيرة التى نزلت قبل سورة هود يعجزون هم ومن يستعينون بهم من الجن والانس عن أن يأتوا بمثل عشرة منها يختارونها كيفما شاءوا .

والآن لا بد من وقفة عند كلمتين فى الآية الكريمة ، احداهما فيها حجة أولى تدحض التهمة لم أجد أحدا نبه الى حجيتها ، وأخراهما أدت الى اختلاف فى تفسير الآية لم يكن له داع .

أما أولى الكلمتين فهى قوله تعالى (قل !) ان المخاطب بهذا الامر الجليل ذى الحرفين هو نفس الذى اتهموه بافتراء القرآن . فهذا الامر وحده كاف فى التنبيه الى أن ما يقولونه لا يمكن أن يكون الا باطلا . اذ كيف يمكن أن يكون محمد افترى القرآن وهو مخاطب به مأمور فيه . واذا كانت الحجة فى الامر (قل) تحتاج الى شىء من التأمل لتتضح ، فمقول القول فيه حجة أخرى أوضح وأقطع : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » . وأمر التعجيز والالزام فى (فأتوا) لم

---

(١) هود هى السورة (٥٢) فى ترتيب النزول . وآية التحدى فى أوائل السورة قبل أن ينزل شىء من قصصها فلا يشملها التحدى على قول من يقول ان العشر المتحدى بها هى سور القصص الطويل وعاشرتها عنده هى سورة هود . ويبقى احدى وخمسون سورة هى التى وقع التحدى بمثل عشر منها . واطلاق حرية اختيار العشر يجعل المعجزات القرآنية المتحدى بها فى الآية أكثر فى الواقع من خمس بكثير .

يأت من محمد صلى الله عليه وسلم ولكن من الله الوكيل على كل شيء الذي وجه الى نبيه الامر (قل) . فالنبي في هذا مبلغ أمر الله كما هو في سائر القرآن . وما تعود المفسرون قوله من أن النبي تحدى العرب ، فيه قصور عن الواقع ، واختصار مخل بوجه الحجة. فان الحجة هي في أنه تحدي بأمر الله ، لا استنتاجا من أنه صلى الله عليه وسلم كان من العقل والحكمة بحيث لا يمكن أن يقدم على ذلك من نفسه ، ولكن نصا صريحا في الامر الجليل (قل) ، الجاري على نسق في الآيات الخمس التي صدرت بذلك الاستفهام الانكاري العجيب (أم يقولون افتراه) ، ثم أيضا في تلك الآية الكريمة التي كانت نزلت في سورة الاسراء تنبيء وتؤكد مرتين أن الجن والانس مجتمعين عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . فكلمة (قل) في آية الاسراء هذه ضرورية لاقامة الحجة بها ، واماطة احتمال المبالغة عنها . فالمخلوق يبالغ — من الانس كان أو من الجن أو من الملائكة — اما الخالق الحق القادر على كل شيء سبحانه فكلامه منزه عن المبالغة . انما هو القول الحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » . فاذا أخذت آية الاسراء تلك منقطعة عما قبلها وما بعدها قامت كلمة (قل) فيها تحميها ان يظن بها عاقل أنها من قول محمد . بل قامت تشهد له صلى الله عليه وسلم أولا بالنبوة فيما تنبأت به من عجز الانس والجن عن مثل القرآن ، وثانيا بالرسالة لأنه مأمور بها أن يبلغ الآية الكريمة للناس . أما اذا أخذت متصلة بما قبلها وما بعدها فعندئذ لايكون هناك محل للتساؤل عمن هوالآمر بفعل الامر(قل) ، لأن ضمير المتكلم في الآيات قبلها والآية بعدها : « ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا » لا يمكن أن ينصرف الا الى الحق سبحانه .

والمفسرون على أن (القرآن) في آية الاسراء هو القرآن كله ، مع أن سورة الاسراء هي الخمسون في ترتيب نزول الوحي بالسور (١) . فالصواب اذن يقال ان التحدى كان أولا بخمسين سورة ثم بعشر ثم بسورة ، وكان الوحي قد نزل بقصار السور المكية الا الانشقاق والانفطار .

أما الكلمة الاخرى التي لا بد من وقفة عندها فهي كلمة (مفتريات) في قوله تعالى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) . انها لم ترد في القرآن الكريم كله الا في هذه الآية ، أي في أول آية وردت فيها الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) . وهذا يجعل دلالتها واضحة تماما . فهي دحض للتهمة والزام لأهلها من نفس قولهم (افتراه) . ان كان افتراء القرآن ممكنا لمحمد في زعمكم فافتراء مثل سور القرآن ينبغي أن يكون أيسر وأمكن لكم وأنتم جميع . فافتروا ان استطعتم عشر سور مثل القرآن واستعينوا بكل معين الا الله ، فانه لا يقدر على مثل القرآن الا هو . هذا كله تؤديه كلمة مفتريات في موضعها من الآية بعد حكاية قولهم (افتراه) على ذلك الوجه الانكاري العجيب . فهو الزام ودحض للتهمة من أخصر طريق وأوضحه وأوثقه . وهو من أمثلة الايجاز المعجز في القرآن . فالعجب أن يخطيء دلالتها مثل الزمخشري والفخر الرازي . أما الزمخشري فقد فهم الحجة ولكنه أفسدها بجواب له على شبهة أوردها . قال : « فان قلت كيف يكون (مثله) وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله في حسن البيان والنظم وان كان مفترى ! » . هذا مثل فريد للفكرة المتحكمة تنسى صاحبها الحجة التي أبصر من قبل . فلولا أن الزمخشري كان متسلطا عليه

---

(١) فيما حققته لجنة الشيخ خلف الحسيني وهو يوافق بعض روايات السيوطي في الاتقان .

فكرة أن اعجاز القرآن اعجاز بيان ونظم من غير نظر الى المعنى ، ما غفل عن قوله الذى كان قاله قبل ايراده تلك الشبهة مما يتفق بالضبط مع الحجة البالغة المنطوية فى الآية والتى ذكرناها قبل . قال :

(« مفتريات » صفة لعشر سور . لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى ، وان الامر كما قلتم فأتوا أنتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام) فهذا كلام من أصاب الحجة فى (مفتريات) وان لم ينتبه الى الحجة فى الامر الجليل (قل) . وكان مقتضاه أن يجيب على السؤال الذى أورده أن المثلية مستحيلة ، فالمفترى على الله من الكلام لا يمكن أن يكون مثل غير المفترى لا فى جلال المعنى ولا فى حسن البيان والنظم ، ومن هنا الحجة الملزمة فى (مثله مفتريات) .

اما الفخر الرازى فلم يصب من دلالة (مفتريات) فى الآية الكريمة شيئا ، واستنتج منها ما يناقض ما كان استنتجه من آيتى سورة يونس ، فانكر هنا ما كان أثبته هناك من أن العلوم الكثيرة وما اليها هى من وجوه اعجاز القرآن . وهذا وحده كان من شانه أن ينبه مثله الى انه اخطأ مغزى الكلمة ، لأن التناقض مستحيل على القرآن فلا يمكن ان تتناقض آياته فيما ينبغى أن تؤدى اليه ، خصوصا والفخر من المفسرين الذين يقولون بأن آية هود قد نزلت قبل آية يونس. لكنه كالزمخشرى كان تحت سلطان فكرة تصرف تفكيره هى أن اعجاز القرآن راجع لفصاحته بصرف النظر عن المعنى ، فسارع الى استنتاج ذلك من كلمة (مفتريات) فى الآية الكريمة ، وعلل ذلك بقوله (لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا) فوقع فى خطأ أكبر حتى من ذلك التناقض، اذ يفضى الى انكار اعجاز المعنى فى القرآن . وهذا ما لا يمكن ان يكون مرادا له ، لأنه يقرر اعجاز المعنى فى مواطن كثيرة من تفسيره ان صراحة وان ضمنا ، وينزه القرآن عن الكذب والباطل كله بما نزهه الله . لكنه فيما يبدو كان متاثرا بالعرف الكاذب الذى ساد بالتدريج بعد عصر الخلافة الراشدة من ان العبرة فى الفصاحة هى بالصياغة والتعبير مهما كان المعنى . ولو انتبه وهو بصدد بحث اعجاز القرآن لتساءل كيف يمكن التسوية بين خبرين صادق وكاذب ، او بين حكمين حق وباطل ، بفرض تعادلهما فى الفصاحة من حيث الصيغة والتعبير ؟ أو كيف تمكن المفاضلة بلاغيا بين عبارتين من الاصابة فى الحكم ان لم تتفقا فى المعنى ، او على الاقل فى الموضوع ؟ ان ذلك العرف الذى لا يزال سائدا ليس هو العرف كما ينبغى أن يكون حسب ما أنزل الله فى القرآن . والقرآن هو الحكم فى كل ما يمكن أن يسترشد به فيه ، حتى فى قضايا الادب ، لا ما يشيع بين الناس . فالمبدأ الذى يهمل المعنى ويجعل الصياغة كل شىء عند تقدير الفصاحة في الموازنة بين كلامين هو مبدأ شيطانى لا قرآنى . ويكفى فى شيطانيته أنه استدرج علماء الادب من المسلمين الى استحسان ما جاء به مثل ابى نواس وبشار من شعر فاحش ، لاحسانهما فى التعبير ، ففتح بذلك على المسلمين فى تربية النشء باب فساد كبير . (يتبع)

٥ ـــ (ولا تأتوا ببهتان (١) تفترونه (٢) بين أيديكم وأرجلكم) :

... هذا نهى يقطع دابر الفتنة ، فالمسلم الذى آمن بالله واتبع رسول الله لا يدعى على الناس ما ليس فيهم ، ولا يرميهم بالباطل ، من القول أو العمل ، ولا يزور من عند نفسه ما يبهت غيره ويفضحه ، حتى لا تثار خصومات ، ولا تنشأ عداوات تفسد المجتمع وتهدده بالضياع والانهيار ، والاسلام حريص كل الحرص على المقومات التي تقوى الروابط الانسانية ، وينشأ عنها تعاضد المسلمين وقوة شوكتهم .

وهنا ـــ محك الاخلاق ، والموقف الذى يبدو فيه الجيد من الزائف ويعرف الغث من السمين ، فالمتجنى على الناس ما ليس فيهم ظالم لهم ولنفسه ، لأنه يرمى محصنا بالفجور ، وحين يصف المرء غيره بما ليس فيه ، انما يعيب نفسه ، ويفسد العلائق الطيبة ، وقد عد القرآن الكريم رمى المحصنات بهتانا فقال تعالى فى سورة النور (.. ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) وفى الآية الكريمة الاخرى سماه افكا فقال سبحانه : (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) وجعل سبحانه لعنته وغضبه على الذين يرمون أزواجهم بهذا الفعل الشائن القبيح ، وجعل للذى تولى كبر الافك العذاب العظيم (... والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ... وكل هذا التشديد للحرص على سلامة المجتمع الاسلامى من الانهيار .

واخيرا : يجمل سيد الخلق ما فصل سابقا فيقول : ولا تعصوا فى معروف ، ثم أعقب كل ما مضى بما يشعر بضعف الانسان وشدة اكرام مولاه له مهما قارف من الذنوب ، فقال ـــ فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا ـــ بمرض أو نازلة ، أو أقيم عليه حد فهو كفارة له ، ولهذا قال الفقهاء ان من أقيم عليه حد كان ذلك كفارة لذنبه ولا يعاقب فى الآخرة ، فالحدود جوابر ، على الرأى الصحيح المعتمد .. وليست زواجر فقط وان قال به آخرون ـــ ولكل مجتهد نصيب ـــ .

ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله ـــ أى لم يعلم بفعله أحد الا الله ـــ فهو الى الله ـــ أي أمره بينه وبين ربه ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ـــ والاحاديث الصحيحة الاخرى تؤكد أن من ستره الله فى الدنيا فلن يعاقبه فى الآخرة والامل فى رحمة الله كبير ، قال تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفـــور الرحيم) .

ويقول راوى الحديث الشريف سيدنا عبادة : فبايعناه على ذلك ، ونسأل الله أن يبايع المسلمون المعاصرون رسول الله على ذلك أيضا حتى يلتئم شملهم وتتحد كلمتهم وتقوى مجتمعاتهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) البهتان : هو الكذب الذي يبهت ما معه (أى يدهشه ويوقعه فى الفضيحة) فهو أخص من مطلق الكذب لأن البهتان لا بد أن يكون معه فضيحة ، (وقد مثل له بعض السابقين بقوله : كالرمى بالزنا وقذف المحصنات) . أما الكذب فانه أعم من أن تكون معه فضيحة أو لا تكون .

(٢) الافتراء : الاختلاق : أي لا أصل له فى الواقع . وخص الايدى والارجل لأن معظم الافعال تقع بهما غالبا أو هي كناية ..

لماذا الإسلام ؟

المسيحية وتأليه المسيح ونظرية الفداء والتثليث

للأستاذ : أحمد حسين المحامي

قلنا ان أناجيل متى ومرقص ولوقا، لا تحوى أية اشارة عن التثليث ، ولا عن عقيدة الفداء والوهية المسيح ، وتساءلنا فمن أين جاءت – اذن – هذه الأفكار التي لم ترد في الأناجيل ؟ واليوم نرد على هذا السؤال .

انجيل يوحنا :

ذكرنا أن الأناجيل التي يعتمدها المسيحيون أربعة ، وقد أفردنا الأناجيل الثلاثة متى ومرقص ولوقا بالحديث حتى الآن ،و قد حان الوقت لنتحدث عن الانجيل الرابع ، انجيل يوحنا .

يقول ول دورانت عن هذا الانجيل:

« ولا يدعى الانجيل الرابع أنه ترجمه ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية ، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية ، **وهو يناقض الأناجيل** الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح » .

(قيصر والمسيح – ص ٢٠٩)

وغير دورانت من كبار المفكرين يشكون في نسبة هذا الانجيل الى يوحنا حوارى المسيح .

والاجماع يكاد ينعقد بين المفكرين على أنه آخر الأناجيل ، ويحددون لوضعه أواخر القرن الاول المسيحي، ويرون فيه انعكاس الآراء الفلسفية التي كانت سائدة في العالم الهلينستى في هذه الفترة ، كما يعبر عنها الفيلسوف اليهودي فيلو ، والذي كان يقول : ان الكائنات خارج الله قبل أن توجد كانت أفكارا في العقل الالهي ثم تطورت هذه الافكار الى كلمة (Logos) وكان فيلو يقول عن العقل الالهي أنه **أول ما ولد الله وهو ابن الله من الحكمة العذراء** – كما كان يقول انه عن طريق الكلمة كشف الله عن نفسه للانسان .

هذه الآراء التي قال بها الفيلسوف اليهودي فيلو محاولا فيها التوفيق بين الفلسفة الافلاطونية ، والعقيدة اليهودية .. هي التي ألفت الاصحاح

الاول من انجيل يوحنا على ما يقول ول دورانت ، حيث تجرى عبارات هذا الاصحاح على الوجه التالي :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان فى البدء عند الله » . الى أن يقول :
والكلمة صار جسدا وحل فينا وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا (١) .

وهكذا جاء انجيل يوحنا بهذه الملامح الجديدة للمسيحية ، ولم يكن انجيل يوحنا في هذا منشئا ، بل كان يعكس التطور الجديد الذي طرأ على المسيحية على يد بولس الرسول ، الذي كان بحق صاحب الفضل في تحويل المسيحية من دين خاص ببني اسرائيل الى دين عالمي ، ولكنه وهو يفعل ذلك انتقل بالمسيحية من بساطتها الاولى ونصاعة تعاليمها ، الى هذه الافكار المعقدة التي صارت اليها في ظل الكنيسة ، والتي يعتبر بولس بحق منشئها وبانيها ، وواضع أساس سلطانها الذي لم يسبق له مثيل .

ولم يكن بولس هذا الذي أحدث في المسيحية كل هذا الاثر والتطور من تلامذة المسيح ، بل لم يكن ممن رأوا المسيح في حياته ، وكان أشد الناس اضطهاداً للمسيحيين ، وكان يسمى « شاول » ولندعه الآن يقدم لنا نفسه وكيفية ايمانه بالمسيح ، كما روى عنه في سفر أعمال الرسل .

بولس الرسول :

« اني رجل يهودي ولدت في طرسوس كليكلية ، لكني ربيت في هذه المدينة (أورشليم) وتأدبت لدى (كاهنها) على حقيقة الناموس الابوى ، وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم ، وقد اضطهدت هذه الطريقة (المسيحية) حتى بالموت مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشيوخ الذين أخذت منهم رسائل الى الاخوة وانطلقت الى دمشق لآتي بمن هناك الى أورشليم موثقين ليعاقبوا ، فاتفق وأنا سائر وقد دنوت من دمشق عند الظهر أن أبرق حولي من السماء بغتة نور عظيم ، فسقطت على الأرض ، وسمعت صوتا يقول لي : شاول شاول لماذا تضطهدني فأجبت من أنت يا رب فقال لي أنا يسوع الناصري (٢) الذي أنت تضطهده ، والذين كانوا معي رأوا النور ولكن لم يسمعوا الصوت الذي كلمني (٣) . فقلت ماذا أصنع يا رب فقال لي الرب قم وامض الى دمشق وهناك تخبر بجميع ما رسم عليك أن تفعله » .

ويمضى بولس في قصته ، وكيف أنه أصبح لا يرى ، ثم ارتد مبصرا وكيف حصل له على حد تعبيره (انجذاب) وأخذ على عاتقه أن يبشر بيسوع المسيح ابن الله الحي الذي بعثه الله ليكون فداء للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم .

ولما كانت هذه التعاليم لم يقل بها المسيح ولا واحد من أصحابه المقربين فقد كان طبيعيا ألا تلقى رواجا بين اليهود ، الذين رفضت أكثريتهم الساحقة الاعتراف بأن يسوع هو مسيحهم المنتظر ، والذي تحدثنا عنه ونحن نستعرض الديانة اليهودية ، فالمسيح في عقيدتهم سيكون ملكا يعيد

---

(١) ول دورانت ص ١٠٥ .
(٢) انظر الى الاجابة وصراحتها من أنه عيسى المولود فى الناصرة .
(٣) ذكرت هذه الواقعة عكس ذلك فى نفس هذا السفر حيث جاء فى الاصحاح التاسع : أما المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا .

سلطانهم على الارض ، وليس انسانا عاديا يرفع على الصليب وهم الذين يلعنون من يرفع على الصليب .

ومن هنا فقد اتجه بولس بدعوته الى شعوب الامبراطورية الرومانية ولما كانت الكثرة الغالبة من سكان هذه الامبراطورية ، عبيدا أرقاء يعيشون في الألم والعذاب ، فقد وجدوا في القصة التي حدثهم عنها بولس من أن الله أرسل ابنه الحبيب ليتألم ويتعذب على الأرض كفارة عن ذنوب الخاطئين ، وجدوا في هذه الفكرة عزاء لآلامهم وأحزانهم ، كما وجدوا في تبشير بولس باقتراب ملكوت السماء ، وقرب قدوم المسيح لانقاذهم ، أملا في التحرر من ربقة الاستعباد ، ونيل الحظوة في السماء .

ولكي يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته ، لم يفتأ يوصي العبيد بأن يخدموا أسيادهم في أمانة واخلاص مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعنتوهم . بل وأن يخضع الكل للسلاطين والحكام في غير تذمر أو احتجاج .

« لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانه لا سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله ، فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على أنفسهم » .

« أيها العبيد أطيعوا سادتكم الجسديين بخوف ورعدة بسلامة قلوبكم كطاعتكم للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضي الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين بمشيئة الله من قلوبكم » (بولس الى افس — الاصحاح السادس) .

أما وقد جعل بولس سبيل دعوته ضرورة خضوع الناس جميعا للسلاطين باعتبارهم يمثلون مشيئة الله ، وخضوع العبيد والأرقاء لأسيادهم كما يخضعون لله ، فقد تركته السلطات يبشر بدعوته التي لا حرج فيها ولا خطر ، ما دامت تنتهي الى مضاعفة العبيد لجهدهم في خدمة أسيادهم ، وخضوع الرعايا لحكامهم .

وزاد بولس على ذلك كله أن أعفى المسيحيين الجدد من فريضة الختان التي كان اليهود يفرضونها على أنفسهم بل وأعفاهم من كل الطقوس والعبادات التي يأخذ بها اليهود مما يطلق عليه اسم الناموس أو الشريعة .

ويصل في ذلك الى حد الاختلاف مع تلامذة المسيح وحوارييه وعلى رأسهم بطرس نفسه ، (فالبر أصبح بالايمان وليس بالناموس) .

بولس وألوهية المسيح

ولخص بولس المسيحية في الاعتقاد بألوهية المسيح وأنه ابن الله الحبيب ، وقد أنزله الله على الارض ليتعذب ويموت على الصليب ، فيكون في موته كفارة عن خطايا البشر التي وقعوا فيها نتيجة خطيئة آدم الأولى ، وليرفع عن البشر لعنة الموت الذي كتب عليهم بعد غضب الله على آدم ، وحسب الانسان أن يؤمن بالمسيح ابن الله لكي يتبرأ من الخطيئة بدون أي عمل آخر ولكي يسلم من الموت .

صلته بديانة الرومان

ولم تكن هذه الأفكار التي قال بها بولس غريبة عن دنيا الرومان في

ذلك الوقت ، فقد كانت عبادة الآله « مترا » من الديانات المنتشـرة ، والمسيح الاله هو صورة طبق الأصل من خصائص الاله « مترا » فكلاهما كان وسيطا بـين اللـه والبشـر ، وكلاهما مات ليخلـص البشر مـن خطاياهم ، وكلاهما دفن ولكنه عـاد للحياة وقام من قبره ، وكلاهما كان يدعى مخلصا ومنقذا ، وكلاهما يعمد أتباعهما باسمهما ، وكلاهما يقام في ذكراهما كل عام عشاء مقدس .

وديانة قدماء المصريين

أما نظرية ابن الله الاله فقد كانت تسـود العالـم المصـرى القديـم (اوزوريس وايزيس وحوريس) ، ومن مصر غمرت حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكانت صورة ايزيس الأم وهي تحمل الاله الابن هي الصـورة السائدة في أنحاء العالم الروماني .

ولن يجد الانسان كبير صعوبـة وهو يطالع سفر أعمال الرسـل في اكتشاف كيف استغل بولس الافكار السائدة للتبشير بفكرته عن المسيح المخلص .

فتراه يخطب أهل أثينا في الاصحاح الثامن والعشرين من أعمال الرسل بقوله :

« يا رجال أثينا اني أرى أنكم في كل شيء تغلون في العبادة ، لأني في مرورى ومعاينتى لمناسككم صادفت مذبحا مكتوبا عليه « للاله المجهول » فهذا الذي تعبدونه وأنتم تجهلونه أنا أبشركم به » .

ثم يروح بولس يحدثهم عـن المسيـح باعتبـاره الفادي للبشـر والمخلص وابن الله ، مستندا في ذلك الى ما يقولونه في أشعارهـم مـن أنهم ذرية الله .

ولما كانت آراء بولس قد سادت العالم المسيحي في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي ، فقـد عكس انجيل يوحنا هذه التعاليم بعـد أن مزجها بالفلسفة اليونانية .

المجامع المسيحية :

على أنه لا المسيح ، ولا تلامذته ، ولا الأناجيل ، ولا بولس نفسه ، قد صاغ العقيدة المسيحية بصورتها التي تمارس بها الآن ، وانما كانت هـذه العقيدة وتعاليم المسيحية كما تطبقها الكنيسة هـي من وضـع المجامـع المسيحية التي بدأت تنعقد ابتداء من القرن الرابع الميـلادى ، بعـد أن أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للامبراطورية الرومانيـة ، وذلـك لتحدد عناصر العقيـدة ، وتصـدر القرارات ضد مخالفيها .

وقد عقد تلامذة المسيح أول مجمع لهم في أورشليم سنة ٥١ ميلاديـة برئاسة الأسقف يعقوب الرسـول للنظر في موضوع ختان الأمم ، فقد كان بعض تلامذة المسيح من اليهود يرون وجوب الختان على الأمم من غير اليهود ، بينما كان بولس يبشـر بخلاف ذلك كما رأينا ، حيث كانـت نظريته أنه بعد نزول المخلص فقـد أصبح الختان بالقلـب (وليس فـى القلفة) . واستقر رأى الرسل على اعفاء الشعوب غير اليهودية من سنة الختان ، وبعثـوا الـى الشعـوب برسائل قالوا فيها : قـد رأى روح القدس ونحن ، ألا نضع عليكم ثقلا فوق هذه الاشياء التي لا بد منها ، وهي أن تمتنعوا عما ذبح للأصنـام وعن الدم والمخنـوق والزنى فـاذا صنتم أنفسكم من هذا أحسنتم فيمـا فعلتم » (أعمال الرسل الأصحـاح الخامس عشر) .

مجمع نيقية :

يعتبر هذا المجمع هو المسئول الأول عن تأليه المسيح بصفة نهائية ، فقد كانت هذه القضية مسار خلاف بين رجال الدين المسيحي ، وقد تزعم الأسقف اريوس القول بوحدانية الله ، وأن المسيح لا يمكن أن يكون من جوهر الأب وبالتالي لا يمكن ان يكون مساويا له ، وقد دعي المؤتمر للانعقاد بناء على طلب الامبراطور قسطنطين لحسم الخلافات بين طوائف المسيحيين فانعقد المجمع الذي كان مؤلفا من (٣١٨) أسقفا وذلك عام ٣٢٥ م ودار البحث حول ما أسموه ((بدعة اريوس)) أو هرطقة أريوس وكفره والحاده (١) .

وتم وضع الشق الأول من العقيدة المسيحية في هذا المجمع أو ما يطلق عليه دستور الايمان الذي يجب أن يحفظه كل مسيحي عن ظهر قلب وهو :

((بالحقيقة نؤمن باله واحد الله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى)) .

((نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، تألم وقبر وقام من الأموات ، وفي اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد الى السماوات وجلس عن يمين أبيه وسيأتي أيضا في مجده ليدين الاحياء والموتى ، وليس لملكه انقضاء . نعم نؤمن بروح القدس)) .

وقد ذيل هذا الدستور بالحرم الآتي نصه : ان جميع الذين يقولون عن الابن انه جاء عليه حين من الدهر لم يكن فيه موجودا ، أو انه لم يكن له أثر في الوجود قبل أن يولد ، أو انه ولد من العدم ، أو انه من غير جوهر الأب ، أو انه مخلوق ومعرض للتحول والتبدل فالكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة تعلن وقوعه تحت طائلة الحرم (٢) .

مجمع القسطنطينية :

وكما انعقد مؤتمر نيقية ليقرر الوهية المسيح ومساواته للأب معارضا بذلك تعاليم أريوس التى كانت قد انتشرت واستفحلت . فقد اجتمع مؤتمر آخر في القسطنطينية عام ٣٨١م بدعوة من الامبراطور تيودوسوس ، لتقرير الوهية روح القدس أسوة بألوهية المسيح . وكان أسقف القسطنطينية المسمى مقدونيوس لا يعترف بألوهية روح القدس (٣) .

وقد أضاف المجمع الجديد على دستور الإيمان الذي تقرر في نيقية القرار التالي :

نؤمن بروح القدس ، الرب المحيى المنبثق من الأب المسجود له والممجد مع الأب والابن الناطق في الانبياء . ثم أضافوا كذلك :

ونؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية . ونعترف بمعمودية

---

(١) ان من يطالع أقوال اريوس ومبادئه كما أثبتها الاستاذ الكبير زكى شنوده فى كتابه « تاريخ الاقباط » يراها مصدقة كل التصديق لقول القرآن الكريم في شخصية المسيح .

(٢) الحرم أى الحرمان بمعنى الطرد من الكنيسة .

(٣) روح القدس في الاسلام هو جبريل عليه السلام .

واحدة لمغفرة الخطايا وننتظر قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي .

وتعددت المجامع بعد ذلك ، ولكن الكنيسة لم تلبث ان انقسمت الى شرقية وغربية ، لا يعترف كل منهما بما يقرره الآخر ، حيث دار الخلاف حول الاله روح القدس وهل انبثق من الآب وحده كما جاء فى دستور الايمان السابق ، أم من الاب والابن معا . وهل للمسيح طبيعة واحدة الهية بحتة ، أم لـه طبيعتان الهية وناسوتية وهل له مشيئة واحدة أو مشيئتان .. الخ .

وكان من آخر المجامع ما عقد فى روما عام ١٨٦٩ حيث تقرر فيه أن البابا معصوم ولا يمكن أن يخطىء أبدا .

وآخر مجمع من هذا القبيل هو الذي دعا اليه بابا روما منذ عامين واجتمع بالفعل في روما ، وذلك للنظر في تبرئة اليهود من دم المسيح .

وليس يعنينا من هذا العرض ،الا أن نظهر كيف أن هذه المجامع الكنسية — وليس السيد المسيح أو تلامذته — هى التى صاغت دستور الايمان المسيحي ، وهي التي قالت بالتثلث والفداء وسلطة الكنيسة ، وهي العناصر الثلاثة التى تقوم عليها الديانة المسيحية فى العصر الحديث ونرى أن نعرضها بايجاز .

التثليث :

لا أثر لفكرة التثليث في الأناجيل أو أعمال الرسل ، أو رسائل الرسل المنبثة في العهد الجديد ، وأذا كنا نجد فيها اشارات لالوهية المسيح أو ربوبيته كما يقولون فلن نجد فيها أي اشارة عن قرب أو بعد لتأليه روح القدس ، بل ان انجيل لوقا أفصح عن أن روح القدس هو جبريل عليه السلام كما يقول القرآن الكريم :

« وفى الشهر السادس من الحمل بيوحنا — أرسل جبريل الملاك من الله الى مدينة الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود ، اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فقال لها لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لوقا — الاصحاح الأول) .

وليس يعنينا الآن من هذه الرواية الا أن روح القدس الذي خاطب مريم وبشرها بيسوع هو الملاك جبريل .

فألوهية روح القدس اذن شيء غير وارد في الانجيل ، ولذلك وجد من كبار المسيحيين في القرون الأولى من قرر أن روح القدس مخلوق . وبولس الرسول الذي له أربع عشرة رسالة في العهد الجديد مقدسة كلها . لا يذكر النعمة الا مقترنة بالاب والابن فقط « النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح » (كورنتس الثانية — الاصحاح الاول) .

ولسنا نريد أن نمضي طويلا في هذه المناقشة التي استوفاها أعظم استيفاء أخونا العلامة الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه « المسيح في القرآن » .

وحسبنا أن نستعرض التثليث كما تقول به المسيحية المقررة .

تقوم عقيدة التثليث على الايمان باله واحد مؤلف من ثلاث أقانيم أو ثلاثة شخوص (١) « الآب والابن وروح

(١) يستعمل اللاتين كلمة شخص بينما يستعمل اليونانيون كلمة اقنوم للتعبير عن الحقيقة الواحدة وقد أقر اثناسيوس استعمال كلتا الكلمتين . (قصة الكنيسة القبطية — ص ٢٣٧) .

القدس » وهذه الثلاث أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة . واحد في ثلاثة ، وثلاثة في واحد ، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها ، ولكن ذلك لا يقال الا على سبيل التبسيط والا فعقيدة الثالوث شيء معقد يسلم المسيحيون جميعا أنه فوق العقل والادراك ، ذلك أن كل اقنوم من الأقانيم الثلاثة له خصائصه وذاتيته التي لا تختلط بالذاتين الأخريين .

« فالأب لا هوت بحت وهو الخالق . والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادى ، والروح القدس لاهوت محض وهو المطهر المنبثق من الأب » .

فنحن كما ترى ازاء ثلاثة شخوص أو أقانيم ، سمها كما شئت لكل منها خصيصة ، وتوجد منفصلة بعضها عن بعض فالابن مولود من الاب ، والابن يجلس الى يمين الآب . وهكذا يجد الانسان نفسه أمام ما يشبه أن يكون ثلاثة آلهة ، ولكنها في الحقيقة اله واحد ، انهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة ، وهكذا دواليك (١) .

عقيدة الخطيئة والفداء :

ننتقل الآن الى العنصر الرئيسي الثاني من عناصر المسيحية وهو فكرة الخطيئة والفداء ، والتي كان بولس الرسول هو القائل بها ولم تلبث المجامع المسيحية أن اعتبرتها جوهر الايمان المسيحي .

تقوم فكرة الخطيئة والفداء ، على ما جاء في التوراة والقرآن ، من ان آدم أبا البشر أخطأ وعصا الله عندما أكل من الشجرة ، وغنى عن البيان أن ذلك قد حدث ليتحقق سابق علم الله من خلق البشر وتكاثرهم وتعميرهم لهذا الكون . ولذلك فان القرآن الكريم يقول لنا في بساطة المنطق الالهى ووضوحه ، ان الله عفا عنه : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » .

أما العقيدة المسيحية فتقول لنا ان الله لم يغفر لآدم خطيئته ، بل ان غضبه لم يقف عند حد آدم ، بل تناول كل ذريته من بعده ، فقضى عليهم أن يعيشوا في الخطيئة أبدا ، وأن يلاحقهم الموت بالتالي . ولا نتساءل الآن ما ذنب ذرية آدم وهم لم يخطئوا (٢) ، وكيف يتفق هذا الغضب مع وصف المسيح له بأنه محبة ورحمة كله ؟

لا محل لتوجيه هذه الاسئلة فردهم عليها دائما حاضر ، وهو أن الله لا يسأل عما يفعل ، وعلى كل حال فان مجيء المسيح هو آية عفو الله عن البشر وتداركهم برحمته . فقد رأى الله أن يتصالح مع البشر . فأرسل ابنه الحبيب ليتجسد على الارض بشرا سويا ، ليعيش ويتعذب ويتألم ويرفع على الصليب ويموت فيكون في موته كفارة عن خطيئة آدم وذريته . ومن هنا يطلق على المسيح اسم الفادى والمخلص .

ولا نريد ان نتساءل ألم تكن هناك وسيلة ليظهر الله بها عفوه عن بنى آدم الا هذا الاسلوب ، فنحن ممن يسلمون ان الدين أي دين لا يمكن الا

---

(١) قارن هذا بنصاعة التوحيد الاسلامى وبساطته وقوته وهو ما يعترف به مفكرو المسيحيين أنفسهم وقادة الرأى فيهم حيث يقول القرآن الكريم : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

(٢) « ولا تزر وازرة وزر أخرى » صدق الله العظيم .

أن ينطوي على أمور يجب تقبلها كما هي ، ولكن السؤال الذي لا يستطيع أي انسان له عقل ان يرد نفسه عن توجيهه مهما غرق في بحار التصديق والاعتقاد ، هو السؤال التالي :

اذا كان لحادث الفداء بهذه الصورة كل هذا الخطر في حياة البشر ، واذا كان المسيح ابن الله قد نزل على الارض خصيصا ليقوم بهذا الدور ، فكيف لم يشر اليه عن قرب أو بعد ، بل كيف لم يلفت النظر اليه في وضوح وصراحة ، وهو محور العقيدة ولبها ، والمطالع للاناجيل لا يرى في المسيح وأقواله وتصرفاته الا كما يرى في تصرفات أي نبي أو رسول ، حيث يعظ ويهدي الى الطريق المستقيم ، ويقول لمن يسأله عن الطريق للوصول الى ملكوت السماء ، أن ينفذ الوصايا العشر .

أما السؤال الثاني الذي يفرض نفسه كذلك تأسيسا على الاعتقاد بنظرية الفداء : هل معنى تكفير المسيح عن أخطاء البشر ان لم يعد ثمة لوم أو تثريب عليهم ، اذا هم عصوا أو أخطأوا فقد تمت المصالحة بينهم وبين الله ، وكفر المسيح عنهم بدمه ؟!

هنا وتتولى الكنيسة الرد على هذا التساؤل بهذا القول الذي يفسر لنا سر خضوع مئات الملايين من البشر للكنيسة الغربية ولبابا روما بصفة خاصة هذا الخضوع العجيب خلال عدة قرون .

تقول الكنيسة :

ان المصالحة التى تمت بين الله وبين البشر ، قد تمت لحساب الكنيسة ، فجسد المسيح ودمه الذي يكفر عن الذنوب والخطايا ، محفوظ عند الكنيسة ، وهي وحدها التي توزعه على من يعطيها ، فيصبح من الناجين ، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطه جسد المسيح أو دمه ، فانه يصبح من الهالكين ، لا في الآخرة ، وانما في هذه الدنيا ، حيث كان يحرق بالنار كل من تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان .

ولن يستطيع أي مسلم وربما أي مسيحي شرقي أن يتصور ما الذى تعنيه كلمة الكنيسة وسلطان قساوسة الكنيسة في أوربا القديمة ، فالاسلام لم يعرف الكنيسة ولا الكهنوت، وهو مايجعل مفكري الغرب يشيدون بعظمة الاسلام . والكنيسة الشرقية لم تمارس في كل تاريخها السلطة الزمنية . ولن تكمل دراسة للمسيحية الا اذا فصلنا تلك الأمر عن الكنيسة وأسرارها التى تحتفظ بها لنفسها ، والتى ان عرفتها الكنيسة الشرقية عبادات روحية ، فقد طبقتها الكنيسة الغربية سلطة زمنية على ملايين البشر نفوذا وأحكاما وقصاصا وحرمانا وضرائب مالية جعلت البابا حينا من الزمان يتربع على عرش أباطرة الرومان ، ويمارس من السلطة والنفوذ ، ما لم تحلم به القياصرة في جبروتها .

فالى المقال التالي ان شاء الله

- ما فائدة التاريخ وأقوال الحكماء وتجارب السلف اذا لم تكن دليلاً هاديا للخلف ؟
- لقد تعلمت من الحديث مع الناس أكثر مما تعلمت من كل ما قرأت .
- الكتب أجمل أثاث ولو لم تفتحها أو تقرأ منها كلمة .

أشرف وظائف المرأة

للشيخ محمد الغزالى
مراقب الدعوة بوزارة الاوقاف ـــ القاهرة

التلطف مع الاناث ، والرفق بهن ، آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها . وهو أدب يبذل للنساء عامة سواء كن قريبات أم غريبات ، كبيرات أم صغيرات . ومع استقامة الفطرة الانسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالى .

وليس مرده ـــ فيما نرى ـــ الرقة لضعف المرأة واسداء الجميل لها . بل مرده احساس الرجال بأنهم اهل الثقة وموضع الفضل ، وانهم عند حسن الظن اذا طلب الضعيف الحمى أو طلب القلق الامان . . !!

والغربيون يترجمون هذا الاحساس بتقديم المرأة على الرجل فى الخطاب ، وتقديمهـــا عليه فى الدخول والخـــروج والجلوس وغير ذلك . وهو ضرب من المعاملة ظاهره الايثار ، وان كان باطنه مثقلا بالاوزار . .

ونريد أن نتأمل فى أساليبنا ـــ نحن العرب والمسلمين ـــ مع المرأة ، وأن نقابل بين ما انتهى اليه الاسلام فى هذا الشأن وبين ما وصل اليه مفكرو الغرب ، ونقدة الحضارة الحديثة . ومن الخير أن ننفى أولا زعما شاع بين الناس أن العرب فى جاهليتهم كانوا يهينون الانثى ، ويغضون من مكانتها ، نعم هنـــاك سفهاء صنعوا ذلك وعرفوا به ، بيد أن الامم لا تؤاخذ جملة بما يقترفه رعاعها . كيف والشعـــراء العرب ما كانوا يفتتحون قصيدهم الا بالغـــزل ؟ مستعرضين شمائلهم أمام من أحببن ، أو متغنين بمآثر نسائهم خلقا وخلقا . واسمع لعمرو بن معدى كرب يقول :

لمـــا رأيت نســـاءنا	يفحصن بالمعـــزاء شـــدا
وبـــدت لميس كأنهـــا	بدر الســماء اذا تبـــدى
وبـــدت محاســـنها التى	تخفـــى وكان الامر جـــدا
نازلت كبشـــهم ولـــم	أر من نـــزال الـــكبش بـــدا

وعمرو الذى يرغب أن يبدو فى أشرف أحواله أمام حبيبته بدأ قصيدته تلك بقوله :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وأن رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

ويقول عمرو بن كلثوم ، يصف نساء قومه وموقفهن عند احتدام المعارك :

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
ظعائن من بني جشم بن بكر خلطن بميسم حسبا ودينا
يقتن جيادنا ويقلن : لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا

وليس يزرى الامة العربية ان كان بها من وأد البنات ففى عصرنا هذا ، وفى أزهى عواصم الغرب ، يظهر بين الحين والحين سفاحون مولعون بقتل النساء خاصة ، بعد ختلهن بالالفاظ المعسولة ، وبعد قضاء ما يبغونه من وطر . وهذه المآسى الفردية لا تتحمل سمعة الدلالة ، ولا يعدو عارها مرتكبيها .. واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكورة ، وعرفان الانثى لوظيفتها الصحيحة ، فالمرأة اما زوج حانية أو أم مربية ، أو فى طريقها الى هذا المصير النبيل .

ووظيفة (ربة البيت) من أشرف الوظائف فى الوجود ، وما يحسنها الا من استكمل لها أزكى الاخلاق وأنقى الافكار . أليست هى حضانة الاجيال الجديدة وشق الطريق أمامها حتى تنبت نباتا حسنا ؟؟ ان تصور المرأة فى البيت انسانا قاعدا لا شغل له جهل شنيع بمعنى الاسرة وتصور ربة البيت انسانا يجيد الطهى والخدمة فقط ضرب من السلوك الحيوانى عرفته الأمم ابان انهيار حضارتها وسقوط مستواها العام ..

ولقد كانت المرأة فى صدر الاسلام — كما سنرى — ربة بيت من طراز رفيع ، وما منعها ذلك من أن تكون فى قمة الثقافة والاستقامة الاجتماعية ، والنهوض بأمتها والانتصار لدينها ..

جاء الاسلام العظيم ، ومست رحمته حياة المرأة ، فرد عنها طغيان القساة من الرجال وحرر انسانيتها روحا وجسدا حين أتاح لها أن تتزود من العلم ما تشاء . وحصن حقوقها المالية حتى لا تذهب بها أثرة الاقرباء أو الغرباء . وربطها برسالة الامة الكبيرة ودعوتها العامة فهى فى السلم أو الحرب عنصر فعال ، وظهير قوى . وفى نطاق تعاليم الاسلام لا يقل وعى المرأة عن الرجل بقضايا الدين والدنيا . وما كان نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الاسلام فى أرجاء الجزيرة ضد الوثنية ، أو جاهلات بكفاحه بعد ضد الفرس والروم .

ولكن توزيع الاعباء أعطى كلا الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف . والاسلام يعرف المرأة قبل كل شىء ربة بيت وزوجة بطل وأم شهيد .. ويرفض تجنيد النساء للترفيه كما فعلت أوربا فى حربها الاخيرة ، وكما تفعل فى سلمها .. والملامح النبيلة للمرأة المسلمة تراها فى الخنساء ، التى جاهدت فى حرب فارس ، وحضرت موقعة القادسية الهائلة . اشتركت بأبنائها الاربعة ، وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى ، جمعتهم وزودتهم بنار من الايمان ، ونور من اليقين فى كلماتها الخالدة المأثورة .

ان رائدات النهضة النسائية فى بلادنا أقصر باعا وأنزل رتبة من أن يفقهن هذا المثل .

فاحداهن تكره أن تكون أما لأربعة ولو فرضت عليها الاقدار أمومة أربعة ما أحسنت حضانتهم وتربيتهم وتوصيتهم حتى يبلغوا هذه الذروة .

انها تريد أن تكون (رجلة) تتولى عملا فى المجتمع من هذه الاعمال التى تليق بالجنس الخشن ، ولو أدركت ما ترجو ما نفعت نفسها ولا أمتها بشىء طائل .

وعندما يقال لها : تستطيعين صناعة المستقبل كما تبغين عندما تحسنين تبعل الرجل ، وتنشئة الذرية الوافدة ، يتورم أنفها ضيقا وغيظا . وربما قال قائل : هى فى ذلك على حق ، ويجب تذويب الفوارق المفتعلة بين الذكورة والانوثة ، وترك المرأة تلج كل ميدان وتلى كل عمل ويجب التغاضى عن ضعفها الموقوت لأنه أثر القيود التى شلت حيويتها من قديم وعندما تستوى مع الرجل على الركب وتتكافأ أمامها الفرص ، فلن تكون الانوثة عائقا عن منصب ما .

ونحن لن نرجع الى الفقهاء الاقدمين نستلهمهم الاجابة على هذه الشبهة ، وانما نقتطف نبذا من كلام العالم الفيلسوف (الكسيس كاريل) ، فيها من الحقائق المقررة ما يدحض هذه الاوهام قال : « للغدد الجنسية وظائف أخرى غير الدفع لاتيان عمل من شأنه حفظ الجنس فهى تزيد أيضا من قوة النشاط الفسيولوجى والعقلى والروحى .. فليس هناك خصى أصبح فيلسوفا عظيما . أو عالما خطير الشأن أو حتى مجرما عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الاهمية .. انها تولد الخلايا الذكرية والانوثية وهى ، فى الوقت نفسه ، تفرز فى الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية أو الانثوية المميزة على أنسجتنا واخلاطنا وشعورنا . وتعطى جميع وظائفنا صفاتها من الشدة . فالخصية تولد الجراة والقوة والوحشية وهى الصفات التى تميز الثور القاتل عن الثور الذى يجر المحراث فى الحقل .. ويؤثر المبيض فى جسم المرأة بطريقة مماثلة ، ولكن عمله يستمر فقط ابان جزء من حياتها ، فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشىء . وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة فى السن أكثر ضعفا من الرجل الذى تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جدا .

ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم . اذ أنها طبيعيا أكثر أهمية من ذلك .. انها تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كميائية محدودة يفرزها المبيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة .. والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها .. الامر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شىء بالنسبة لجهازها العصبى . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى . فليس فى الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها . ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها كما هى . فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن من غير أن يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن أن يتخلين عن وظائفهن المحدودة .

وهذا الكلام القائم على دراسة طبية ونفسية للجنسين معا هو الشرح الدقيق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال) .

ان انسلاخ أحد الجنسين عن فطرته ليلحق بجنس ليس منه ، حرب على الطبيعة ، والتواء بالامور عن مجراها الصحيح ، ولن يفيد العالم من ذلك الا الخلل والفساد . .

ومع رفضنا للنزعات المادية الواقعة في هذا الخطأ فنحن أحيانا نلتمس عذرا لأصحابها !!

ان هناك صورة قاتمة لأحوال المرأة في بعض المجتمعات ، تجعل الفزع منها يغري بالفرار الى أى وجهة .

صورة امرأة تلهث وراء رجل يمتطي دابته أو صورة امرأة تأكل ما بقي من فضلات الغذاء بعد شبع غيرها أو صورة فتاة مقهورة الارادة تتزوج ممن تكره أو محزونة فاقدة الميراث لأن أهلها بطريقة ما حرموها ارثها أو صورة بلهاء صفر العقل لا تعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا .

أو أنه لا وزن لحياتها ولا لجهدها ولا لرأيها ، لأن البيئة التى أنبتتها جعلتها كذلك شخصا كلاّ على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير !!

هذه الصور التى التبست بأوضاع المرأة فى بعض المجتمعات وحسبها المغفلون دينا وما هى بدين ، بل هى رذائل ومحرمات يسخطها رب العالمين . . هذه الصور هى التى أطاشت الالباب القاصرة ، ودفعتها الى الاخذ من الحضارة الحديثة دون تبصر .

ونحن نغار على مكانة المرأة المسلمة ، ونريد أن تسلم من لوثات عبيد الغرب كما تسلم من لوثات الجامدين المقلدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

كان يجب أن نهدى الثناء الى المدنية الحديثة لو أنها — حين اعترفت بانسانية المرأة — دعمت جانبها الضعيف وحفظت حقوقها المهدرة وردت عنها عدوان من ضنوا عليها بالعلم والمال ، والاسهام بحظ واضح فى رعاية المصالح الخاصة والعامة . .

لكن المدنية الحديثة — وشارتها الاولى عبادة الحياة — أدخلت المرأة فى المجتمع بطريقة مريبة !!

فبدلا من أن تحصن أنوثتها ضد العبث تعمدت اطلاق الجانب الحيوانى فى البشر ، وجعلت من أنوثة المرأة فتنة تبعثر الاثم فى كل مكان !! فالملابس لا بد أن تكون قصيرة تكشف ما فوق الركبة ضيقة تبرز الصدر والارداف ، مثيرة تغرى بتفصلها وتقسيمها على النظر الحرام والفكر الحرام . . والتقاليد التى أقرتها هذه المدنية الحديثة أن المرأة تظهر فى الاحفال الساهرة شبه عارية ، وأنها ينبغى أن تطعم وترقص مع شخص آخر غير زوجها !! وأقطار الغرب فى أوربا وأمريكا ترى أن المتعة الجسدية فى كل صورها حق طبيعى للفتى والفتاة . . وفرص التلاقى لارواء الغريزة الجنسية ، سواء بالزنا أو بما دونه ، متاحة لمن شاء .

واذا كانت البيئة المؤمنة تفرض القيود على الملابس ، وتباعد بين أنفاس الذكور والاناث الى أن يلتقي الرجل بالمرأة فى بيت الزوجية فان المدنية الحديثة تعمل بدأب غريب على اثارة الشهية الجنسية بالليل والنهار ، فى البر والبحر .. وتستفز الغرائز الساكتة لتدفعها دفعا الى الاستمتاع الميسور ، محظورا كان أم غير محظور ..

انها مدنية تنشد اللذة وتطوع لها كل شيء ، والمسحورون بها يحق فيهم قوله تعالى (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) .

ولما كانت الطبيعة البشرية قد تسكن اذا نالت ما تشتهي او قد تهدأ اذا الفت ما ترغب فان زبانية النشاط الجنسي يكدون قرائحهم لخلق أزياء وأوضاع جديدة تلهب الذئاب الجائعة لتنطلق فى كل فج وهى تصيح هل من مزيد ؟

ومن الحق أن نقول : ان الاديان السابقة كانت اعجز من ان تقف السيل الطام .

فقد كان الانسان بذكائه العقلى أكبر منها وأمنع ، من تصديق نقائضها ، كما أن ميوله كانت اشرس من أن تنقاد لتعاليمها الباهتة .. أما الاسلام فكان غائبا فى بلاده محتبس الضوء بين حكام الجور ، وعلماء السوء ، وعباد الغفلة !! ومن ثم انطلقت المدنية الحديثة فى طريقها لا تلوى على شيء ، تطلب اللذة على ظهر الارض من كل سبيل ، وترى المرأة أولى هذه اللذاذات التى ينبغى أن تشبع فتتملاها كل عين .. وتلمسها كل يد .. والمدنية الحديثة الآن تفرض نفسها على القارات الخمس . ويكافح بعض المسلمين فى جو مربد لينقذوا أقطارهم من هذا الشرود الجنسى الطافح ، ولكنهم — الى يوم الناس هذا — يحاربون فى معركة انسحاب !!

اننا نرفع صوتنا عاليا بأن من حق المرأة أن تتعلم ، ولا يستطيع أحد أبدا أن يحرمها هذا الحق .. لكن من قال : ان التبرج والاختلاط ضرورات لا بد منها فى الجو العلمى ؟؟ واذا كان الاسلام يأذن باختلاط ما فى بعض المواطن فهو اختلاط مصحوب بالحشمة والحياء وغض البصر وتقوى الله .. وهو يرفض بتة كل اختلاط يسمح بأن يخلو رجل بامرأة .. وبالتالى فهو يستنكر أحفال العرى والمجون التى عرفتها وأشاعتها المدنية الحديثة .. وللمرأة أن تعمل فى وظائف مناسبة ، وفى ظروف خاصة ، لكن على أساس أن عملها الجليل العتيد أن تكون ربة بيت وسيدة أسرة وأن يكون جو العمل غير ما تألف المدنية الحديثة .. فلا يليق حشر المرأة عارية الاذرع والسيقان فى صفوف الرجال !!

ولا يليق توظيفها لتعرض أوراقا على مدير يختلى بها اذا شاء .. ونحن نعرف أن المرأة فى أوربا وأمريكا اشتغلت بالمصانع والحقول والشركات والجامعات لكن حصاد اللقاء البعيد عن معرفة الله واتباع شرائعه كان مرا .

ان المرأة قد تعمل اذا احتاجت لعمل أو احتاج اليها المجتمع .. ما يصدها عن ذلك أحد ..

أما الزعم بأنها والرجل سواء فى القدرات المادية والمعنوية فذلك ما ننكره . كيف ، رهى تلد وترضع ؟ وحملها لولدها وحضانتها له يأخذان منها جهدا مضنيا .

ثم هى — من غير الحمل ونتائجه — تراح من العبادات المفروضة فى دورات شهرية منتظمة . فكيف تكلف بالاعمال العادية وينتظر منها أن تساوى الرجل فى الانتاج ؟

ولندع ذلك كله .

ان المشكلة ليست فى عمل المراة أيا كان نوعه! المشكلة فى جو ذلك العمل ! ولون المجتمع العام الذى يتم فيه وهنا تبرز طبيعة الاسلام دون غضاضة .

فالاسلام دين يكلف الرجال والنساء بصلوات خمس كل يوم ، وعندما تؤدى هذه الصلوات فى جماعة — ولا بد فى كل أمة مسلمة من قيام هذه الجماعات من الفجر الى العشاء — فان الرجال يملأون الصفوف الاولى والنساء يملأن الصفوف المؤخرة .

وعلى النساء أن يخفين زينتهن وأن يرتدين ملابس سابغة . وعلا كلا الجنسين أن يغض طرفه اذا راى الآخر ! فاذا حدث أن نظر شخص الى غيره نظرة مريبة وجب على من لاحظ ذلك أن ينهاه عن الاثم وأن يذكره بالله .. ومعنى هذا كله أن الاختلاط بمدلوله الواسع فى المدنية الحديثة يأباه الاسلام اباء تاما ويرفضه رفضا حاسما .

ان الجو الذى تعمل فيه المرأة هناك ، فى أوربا وأمريكا ، جو التكشف ، وابداء المحاسن ، واختيار الاصدقاء ، وحرية التلاقى والاختلاء ، وحرية الجسد كما يقولون ، أو جو نبذ الدين ظهريا واجتياح حدوده دون نكير .. هذا الجو يستحيل أن يقبله الاسلام أو يرضى بدفع المرأة اليه ..

ان الاسرة ذابت فى أقطار أوزوبا وأمريكا تحت اللهب الجنسى المشتعل فى هذا الجو ، وبقاياها التى لا يزال بها رمق لا تدل على خير ، ولا تطمئن على غد طهور .

والمسلمون فى فترة عصيبة من تاريخهم .. لقد داس الاستعمار بلادهم وسخر من تقاليدهم وترك طابعه الخاص على أغلب شئونهم . وهناك كثيرون ينقمون على وضع المرأة القديم فى البلاد الاسلامية ، ويرون أن الاستظلال بلواء المدنية الحديثة أجدى وأفضل .. ونحن نرفض الامرين معا حبس المرأة فى سجن الجهل والقصور وذوبان الشخصية وضياع المكانة واطلاق المرأة فتنة عاتية تنشر الاثم وتبيح المحارم .. لقد رأينا المرأة فى صدر الاسلام ، لا تقل عن الرجل علما ، ولا جهداً فى خدمة دينها وأمتها وبيتها وولدها .. رأيناها فى القادسية واليرموك فى أشرف المواقف وأجدرها بالتكريم .. ولم نرها أبدا مجندة للترفيه عن الرجال ، ولا رأيناها حسرت عن صدرها وركبتيها باسم العمل فى المكاتب أو المصانع ..

ويبقى أن نتساءل : لمن نكل وظيفة (ربة بيت) ؟ اذا استخرجنا المرأة من البيت لغير ضرورة ملجئة ! ان هذه الوظيفة ، من أرقى الاعمال — لو عقلنا — لأنها انشاء الحياة وصيانتها وتعهدها حتى تؤدى رسالتها كاملة ..

ونتساءل مرة أخرى : هل يقبل حكم الله فى تحريم الزنا ، وما يؤدى اليه ، وما يغرى به ، أن نجعل الزنا — كما تقول عشيقة (سارتر) — أمرا عاديا لا يستقبح ولا يستهجن ..؟؟

ان القصة هنا ليست فتوى فرعية فى مشكلة محدودة ، انما هى قصة الدين من الفه الى يائه .. قصة الايمان بالله وتصديق المرسلين أجمعين !!

مائدة القارئ

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تفلحون »
ـ قرآن كريم ـ

أم الشهداء

جمعت الخنساء أولادها الاربعة ، ودفعت بهم الى ساحة الحرب ، وزودتهم بسلاح الايمان ، فقالت لهم .

يا بنى . انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله غيره . انكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا أصبحتم غدا ـ ان شاء الله سالمين ـ فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، واذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها ، واضطرمت ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ـ تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة .

ولما كان الصباح اشتد أبناؤها على عدوهم حتى قضوا نحبهم ، ولما بلغها خبر استشهادهم قالت . الحمد لله الذي شرفني بهم .

مجلس الحرب

أرسل عمر بن الخطاب مددا الى العراق ، وعليه أبو عبيدة بن مسعود الثقفي وعلمه كيف يستشير مجلس الحرب الذى معه ، وكيف يقدم فى موضع الاقدام ، ويتريث فى موضع التريث ، فقال له .

اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم فى الأمر ، ولا تجتهد مسرعا ، بل اتئد ، فانها الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة ، ولا يمنعنى أن أؤمر سليطا (ابن قيس) الا سرعته الى الحرب والسرعة الى الحرب ـ الا عن بيان ـ ضياع .

وطننا المفقود

اجعلوا لفلسطين ما تملكون من المال ومــا تــرزقون مــن مواهب ، وما تجدون من وقت وما تفاخرون به من عقيدة .
هذا هو طريقكم الجديد الى وطنكم المفقود .

المعوقــون

المعوقون والمهرجون تحفل بهم ميادين الهزيمة ، لا ميادين الشرف ، وقــد فضحهم اللــه فقال . ((قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلــم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم . فاذا جاء الخوف رأيتهــم ينظرون اليـك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت . فاذا ذهب الخــوف سلقوكم بألسنة حداد . أشحة على الخير . أولئك لم يؤمنــوا فأحبط الله أعمالهم)) .

التنبي

ظهر فى عهد أحد السلاطين رجل ادعى النبوة ، فأمر السلطان بالقبض عليه وقتله .
وبعد مدة ظهر رجل آخر ، وادعى الألوهية ، فأمر السلطان باحضاره ، وساله ؟
كيف تجرؤ على ادعاء الألوهية ؟ ألم تسمع أن رجــلا ادعى النبــوة فقتلناه .
فقال الرجل . حسنا فعلت أيهــا السلطان ، فانى لم أبعثه نبيا !!

تعليمات عمر للقضــاة

الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينــة العادلــة أو اليمــين القاطعة . وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه .
وتعهد الغريب ، فانك ان لم تتعهده ترك حقه ، ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به .
وآس بين الناس في لحظك وطرفك .
وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء .

غــزة في شعــر الشافعي

ولد الامام الشافعى بغــزة ، وحمل الى مكة ، وارتحل الى المدينة ، وتنقل بين العراق وفارس واليمن ، واستقر به المقام فى مصر ، وممــا نسب اليه من شعر يصور فيه حنينه الى مسقط رأسه .

وانى لمشتاق الى أرض غــزة
وان خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق أجفاني

حكمة زاهــد

رأى ملك زاهدا ، فساله . ألا تذكرنى ؟
قال الزاهد . أجل . أذكرك كلما نسيت ربى .

حكمة لقمــان

سئل لقمان : ممن تعلمت الحكمة ؟ قال : من الجهلاء فكلما رايت عيبا تجنبتــه .

إن يوم النضال آت قريب

أي يوم على الزمان مجيد ... نحن منه على طريق الخلود

فيه نبنى لأمة العرب مجدا ... هو أسمى من كل صرح مشيد

أمة العرب زادها الله عزا ... أبد الدهر دائما فى صعود

ما وهى عزمها ، وما قط ملت ... من قراع العدا ، ورغم الحسود

قد وعى الدهر ما وعى من ذراها ... وهى تومى الى الغد المنشود

أشرق الصبح في رباها وضيا ... لطريق من الأماني فريد

لصراط من الهدى فيه للحق نداء ، يهز سمع الوجود

ومضى شعبها فتيا أبيا ... يتسامى لكل شأو بعيد

راية العرب وحدة تجمع العر ... ب على موثق أبر رشيد

توقظ الشرق للحياة ، وتهدى ... كل غاد على طريق الخلود

ولها فى النضال حومة بأس ... تشعل النار فى فؤاد الحقود

وهى نور على السرى لزحوف ... وانتصار بظلها معقود

رفع الله في الوجود ذراها ... وحباها بعزة التأييد

كم أبى يرد كيد عداها ... يصهر القيد ، وهو غير مقود

وجليد يروع جيش المنايا ... وهى ترميه بالفتى الجليد

ومشوق الى الشهادة صب ... وهى منه على أبر شهيد

وفتى أروع الفؤاد همام ... ليس يزهى بغير نصر مجيد

يا بنى العرب سددوا من خطاكم ... ما التقيتم على كريم العهود

وأصيخوا الى العلا ، وهي فيكم ... أبد الدهر من قديم العهود

هي دعوى محمد ، وهداه ... والنبيين قبل نوح ، وهود

أشرقت فى الزمان ، وهى ضياء ... وسنا كل مطمح في الوجود

عمرها في الزمان عمر الليالي ... وهي تترى على الزمان المديد

شأوها فوق كل شأو رفيع ... وهي توحي بكل معنى شرود

للاستاذ محمد هارون الحلو

انها في النفوس سر هداها   والمناجاة للطماح البعيد
وهي صوت الأذان في كل قلب   يوقظ القلب من عميق الرقود
وهي تهديه للصراط سويا   يوم يدعى للموقف المحمود
كيف يرتاد للبطولات حر   حين يغرى أطماعه بالقعود
وطريق النضال يحفل بالجد   وكم جد فيه من صنديد
نهضة العرب في رباط من الو   د حفى بكل فعل حميد
علم الله أنهم قد اقاموا   منه بالأمس كل صرح مشيد
واستدار الزمان يكتب أمجا   دا لأبناء يعرب من جديد
كم ترى للسلام غصنا نديا   حف منا بزنبق ، وورود
قد تخذناه للبرايا شعارا   وهي منه على طريق سديد
ورفعنا به المنارات للمجد   لنهدى سبيلهم للصعود
لنرد الذئاب عن وثبات   وهى تعوى بكل شاة ولود
أين انس النفوس بالتغريد   وهي في شقوة النضال العتيد
غابنا ذاك ، وهو غاب الأسود   أرضنا تلك ، وهى مهد الجدود
منزل الوحى فى رباها ظليل   فهى قط لم تكن لليهود
ليس يحيا بأرضنا غير حر   من بنى يعرب الكماة الصيد
قل لمن بات يستجيش هواها   من بنيها ، وهم ليوث البيد
أن يوم النضال آت قريب   فأعدوا له دروع الحديد
سيكون الصيال صيحة عاد   ويكون البلاء يوم ثمود
سوف يغدو النزال عبر السدود   ويكون القتال خلف الحدود
ان يقيموا على بلاء شديد   أو يقروا على مهاد وطيد
فلهم يومهم ، ولن يخلفوه   ولهم موعد برجع البريد
سوف نطوى مرابض الغاب طيا   ثم نغدو بها لنصر مجيد

من امجاد تاريخنا الماضي

صقلية الاسلامية

٣ الحملة الاسلامية على صقلية

عرض زيادة الله الاغلبى امر غزو صقلية على كبار رجال دولته واهل الراى فيها ، فجمع وجوه اهل « القيروان » ، وكبار فقهائها في مؤتمر عام واستشارهم في انفاذ اسطول الى جزيرة صقلية (١) .

واختلفت وجهات النظر بين المؤتمرين كما هو الشأن عند النظر في الأمور الخطيرة من اعلان حرب ، أو تقرير سلم ، فبعضهم قال نغزوها ولا نسكنها ، ولا نتخذها وطنا ، وبعضهم تخوف من ذلك وقال : « لو كنت طائرا ما طرت عليها » ، بعد ان سأل : كم بينها وبين بلاد الروم ؟ فقيل له : يروح الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع ، قال : ومن ناحية افريقية ؟ فقيل له : يوم وليلة (٢) .

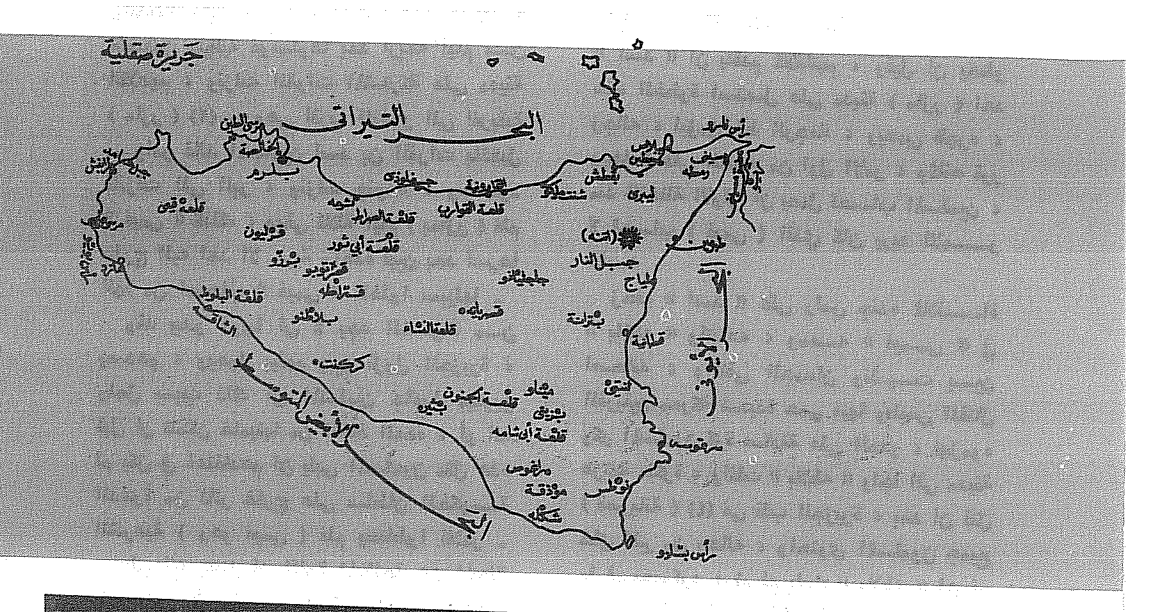
وكان هذا المتخوف راي أنها لقربها من بلاد الروم سيكون مركز المسلمين فيها ضعيفا وحرجا ، محفوفا بالمخاوف والمخاطر ، لأن الروم يكونون اقدر على حمايتها ، واكثر استعدادا لمواصلة الدفاع عنها ، والكفاح في سبيل الاحتفاظ بها ، فابدى رايه مصورا شدة الخطر هناك على المسلمين .

ولكن فريقا ثالثا اشار بغزوها ، ورغب في ذلك (٣) ، وكان هذا الفريق كان يشعر بالحاجة الملحة التي تدعو الى الاستيلاء على هذه الجزيرة ، لحيويتها من النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، ويعلم في الوقت نفسه ضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية وعجزها عن امداد الجزيرة بالقوات المحاربة بصفة دائمة ، ويشاهد كذلك آثار الثورة الاهلية والفتن الجائحة مشتملة بالجزيرة ، وعرف انها فرصة ان ضاعت الآن قد لا تعود أبدا ، فاشار بالغزو ورغب في ذلك .

غير أن هذا النقاش لم يطل ، فقد علم الأمير زيادة الله بان الروم قد قتلوا بعض أسرى المسلمين الذين عندهم ، وكان من شروط الهدنة التي عقدت بين حاكم الجزيرة والأمير ابى العباس الاغلبى سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) وجددت فيما بعد : « أن من دخل اليهم من المسلمين ، وأراد أن يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم .. » ، فما بالك اذا كانوا قد قتلوا بعض الأسرى ولم يكتفوا بحجزهم ؟ ولذا

---

(١) المكتبة الصقلية (نهاية الارب) ج ا ص ٤٢٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .



للدكتور : زكي محمد غيث

وكيل كلية الشريعة بجامعة بغداد

اعلن المؤتمرون نقض المعاهدة ، وأعدت حملة لغزو صقلية على رأسها القاضي : أسد بن الفرات (١) .

★ ★ ★

خرج القاضي وأمير البحر الفقيه : « أسد ابن الفرات » على رأس أسطوله في منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (١٥ يونيو سنة ٨٢٧م) متجها صوب جزيرة صقلية ، ومعه (فيمى) ورجاله في مراكبهم .

ولم تكن هذه الحملة من السرايا الصغيرة ، بل كانت فيما يظهر أعظم حملة بحرية وجهها المسلمون الى صقلية ، فقد كانت تضم سبعمائة فارس ، وعشرة الاف راجل غير البحارة والاتباع تحملهم ما بين سبعين ، أو مائة سفينة وكان جيشه زهرة جند افريقية من العرب ، والبربر ، وبعض المهاجرة من الاندلسيين ،

---

(١) المكتبة الصقلية (رياض النفوس ..) ج ١ ص ١٨٣ (ومعالم الايمان) ج ٢ ص ١٤ ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

وأما أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قائد هذه الحملة ، فان ما نعرفه من حياته الاولى لا يفسر لنا كيف تحول هذا الفقيه العالم الى أمير من أمراء البحار ، وقائد من قواد المسلمين ، فلقد ولد سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م) ونشأ فى مهاد العلم لا مهاد الجندية ، وتخصص فى دراسة الفقه لا دراسة الفنون الحربية ، ورحل فى طلب العلم الى المشرق سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨ م) وأخذ عن الامام مالك رضى الله عنه فى المدينة ، ورحل الى العراق ولقى من أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه : ابا يوسف ، ومحمد بن الحسن ، ثم دخل مصر ولازم ابن القاسم فكان يسأله ويجيبه ابن القاسم حتى دون ستين كتابا وسماها (الاسدية) ، وفارق ابن القاسم وعاد الى المغرب سنة ١٨١ هـ (٧٩٧ م) وأظهر أسديته وأسمعها للناس ، وانتشرت بافريقية ، وما زال أمره مشهورا وقدره معروفا حتى ولاة زيادة الله القضاء سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) ، فلما كانت سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ولاه قيادة الحملة على صقلية مع بقاء اسم القضاء له وقال له : « أنت قاض وأمير » وقد وافاه أجله بصقلية ، وهو يحاصر سرقوسة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) وقد تجاوز السبعين قليلا .

واقلعوا من مرسى (سوسه) (١) بافريقيــة قاصدين صقلية فوصلوها بعد أربعة أيام مــن اقلاعهم ، ونزلت القوات المشتركة على مدينة (مازر) (٢) — وهى أقرب الثغور الى أفريقية — وأمر قائد المسلمين أسد بن الفرات بالخيل فانزلت الى البر ، ونزلت جنوده ، وجنــود ((فيمى)) كذلك ، وبقى ثلاثة ايام (بمازر) فلم يخرج اليه أحد الا سرية واحدة تبين بعد أسرها أنها من أصحاب ((فيمى)) فاخلوا سبيلها .

وقد يبدو غريبا أن لا يجد الغــزاة مــن يصدهم ، ويحول بينهم وبين نزول الجزيرة ، ولعل سبب ذلك أن المسلمين جاءوا مبكرين قبل أن تتمكن حاميتها من اتخاذ العدة ، أو أنه لم يكن في اعتقادهم أن يلبى المسلمون مثل هذه الدعوة من ثائر خارج على سلطان الحكومــة الشرعية (وهو فيمى) فلم يحتاطوا للأمر .

على أنه يجوز أن القوة المدافعة عن المدينة كانت تقدر كل ذلك ، وأن العرب سيلبون دعوة هذا الثائر ويشرعون بالمجيء ، فرأى المسئولون أن يستعدوا للأمر في داخل الجزيرة ، ليكون ذلك أمكن لهم ، وأدعى الى اجهــاد العــدو والتغلب عليه .

وقد تكون مدينة (مازر) وما حواليها موالية لفيمى فلم تتخذها القوات المدافعة مركــزا لحركاتها الحربية ، مما سهل على المغيريــن مهمة النزول الى البر بخيلهم ورجلهم وجميع معداتهم ، دون أن يعترضهم أحد ، وحتى أن القوة الوحيدة التي ظهرت بعد ثلاثة أيام تبين أنها تناصر ((فيمى)) .

* * *

ومهما يكن من شيء فان القوات الرومية قد اجتمعت حول الزعيــم (بلاطه) حــاكم الجزيرة عند مرج (بلاطنــو) (٣) ، وكانت تبلغ نحو مائة وخمسين ألف مقاتل ، ورأى ((أسد)) أن يتقدم لملاقاتهم ، وقبل أن يخطو هذه الخطوة استعمل على مدينة (مازر) أحد رجاله ، ليؤمن خط الرجعة ، ويحمى ظهره ، ويحافظ على الفتوح من أول الأمر ، وكأنه قرر منذ اللحظة الأولى أن يعمل لحساب المسلمين ، لا لحساب (فيمى) الذي كان يريد الأمــر لنفسه .

زحف ((أسد)) على رأس جنده لملاقــاة ((بلاطه)) وأتباعه ، ومعــه ((فيمــى)) في أصحابه ، والتقى الجمعان ونشبت بيــن الفريقين معركة شديدة حمى فيها وطيس القتال وكر المسلمون كرة صادقة على العدو ، فهزموه هزيمة منكرة ، وافلت ((بلاطه)) ولجأ الى مدينة (قصريانة) (٤) فى قلب الجزيرة ، بعد أن قتل خلق كثير من رجاله ، واحتوى المسلمون جميع ما في معسكره ، ثم لم يلبث ((بلاطه)) أن فر من مدينة قصريانة ، وغادر الجزيرة الى قلورية (جنوبي ايطاليا) حينما تغلب عليه الخوف ، وتملكه الفزع وخشى من متابعة المسلمين له ، وهناك لقى مصرعــه حيــث قتــل في ظروف مريبة (٥) .

لم تذكر لنا المراجع التي بين أيدينا : هل كان قتل ((بلاطه)) حاكم صقلية من أعمــال الغدر والخيانة ، أم بايعاز مــن حكومــة القسطنطينية ، حيث ترك الجيش وفر مــن وجه العدو ، وأبقى الجزيرة بدون حامية تحت رحمة ((فيمى)) وحلفائه من المسلمين ؟.

لا يبعد أن يكون قتله بيد بعض الغيورين الذين ساءهم قهره (لفيمى) أولا ، حتى الجاه للخيانة ، ودعوة المسلمين ، ثم تعريضه أخيرا الجزيرة للضياع بتركه قيادة الجند ، وهربه حيث يبغى الحياة دون سائر جنده .

* * *

(١) تنظر الخريطة الاولى التى تحدد موقع صقلية من أوربة وافريقية ، وسوسة بالبر الافريقي (العدد : ٢٣ من الوعى الاسلامى) .
(٢) تنظر الخريطة وهى على الطرف الغربى الجنوبى منها .
(٣) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .
(٤) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .
(٥) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٥ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٦٥ ، ٢٧٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٩ ، ج ٢ ص ٥٢٧ ، ٥٤٠ ، ومعالم الايمان ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

كان على القوات الاسلامية المنتصرة أن تستمر في حركتها ، وأن تتبع قوات الروم المنهزمة الى « قصريانة » فواصلت الزحف آخذة طريق الساحل الجنوبي الى ناحية الشرق ، حتى أصبحوا يشرفون على ثغر « سرقوسة » بشرق الجزيرة .

ويبدو أن المسلمين سلكوا هذا الطريق ، دون أن يتوغلوا في داخل الجزيرة المجهولة لهم ، ليكونوا قريبين من أسطولهم ، الذي كان في الغالب يسير بمحاذاتهم ، ليأمنوا شر التغرير بهم في أرض لم يدرسوا طبيعتها بعد .

خدعة

شعر اهل « سرقوسة » والنواحي المحيطة بها بالخطر الذي يحدق بهم من ناحية المسلمين، فبعثوا بوفد من وجوههم لملاقاة قائد المسلمين : « أسد بن الفرات » لطلب الامان منه ، في نظير دفع الجزية ، وكانوا يقصدون خديعة المسلمين حتى يكفوا عن القتال ، لتتاح لهم فرصة الاستعداد للدفاع ، فأجابهم أسد ، وأقام في موضعه أياما استطاعوا خلالها أن يجمعوا الكثير من أموال الجزيرة ، وقد أخفوها في قلعة حصينة ، بعيدا عن الشاطيء حتى لا تقع في أيدي المسلمين ، وفي الوقت نفسه قد عاودت (فيمى) حمية الكفر ، وداخله الحسد من انتصار المسلمين ، وخشي توغلهم في الجزيرة ، وبخاصة حينما تأكد له بأن هذه الفتوح انما هي لحساب المسلمين ، وليست لحسابه كما كان يؤمل ، فاتصل بأهل « سرقوسة » سرا وحثهم على الثبات ، وأغراهم بأن لا يدفعوا للمسلمين الجزية ، وأن لا يذعنوا لهم ، فانقادوا له ، وأصلحوا حصنهم ، وادخلوا فيه جميع ما كان في الربض وفي الكنائس من ذهب وفضة ، وشحنوه بالزاد والسلاح والرجال .

أحس القائد أسد بالخيانة من ناحية أهل سرقوسة ، وأدرك أنه خدع ، فلم يتردد في مهاجمتهم وقتالهم ، وأخذ يبث السرايا في نواحي « سرقوسة » فتذهب وتعود ظافرة محملة بالاسلاب والغنائم الكثيرة ، ثم تأتي له محاصرة (سرقوسة) برا وبحرا ، حينما قدمت نجدات بحرية من أفريقية . ووفد بعض المغامرين البحارة من أهل الاندلس . وحينما اشتد الحصار لجأ أهلها الى طلب الامان مرة ثانية ، وكاد أن يستمع أسد لضراعتهم لولا أن ثناه المسلمون عن عزمه ، وظلوا محاصرين لها وقد خف والي (بلرم) (١) لنجدة أهل سرقوسة فوجد المسلمين قد خندقوا على أنفسهم ، واحتفروا وراء الخندق حفرا كثيرة كفخاخ للايقاع بالقوات الرومانية ، فتردى فيها كثير منهم وهلك معظمهم ، وهزمت هذه القوة سنة ٢١٢ هـ (٨٢٨م) وقويت نفوس المسلمين بذلك ، واشتد ضغطهم على أهل سرقوسة .

نجدة الروم

وقد حدث في هذا الوقت أن جاءت نجدة بحرية من القسطنطينية للدفاع عن سرقوسة والجزيرة بقيادة : تورط (تيودوتس) ، في حين أنه قد حدثت مجاعة بين جند المسلمين وتفشى فيهم وباء الطاعون وسرت بينهم روح التذمر ، ونال المسلمين بسبب ذلك شدة عظيمة ، كادت أن توهن من عزيمتهم ، وتردهم عن غايتهم ، ولكنهم رغم هذه المحنة صمدوا للعدو ، وثبتوا على حصار المدينة ، غير أن الطاعون قد اشتدت وطأته ، وفتك بكثير منهم ، حتى أفنى معظمهم ، وكان منهم أميرهم القائد : « أسد بن الفرات » في شعبان سنة ٢١٣ هـ (نوفمبر سنة ٨٢٨م) ودفن بذلك الموضع (٢) .

---

(١) انظر خريطة جزيرة صقلية .

(٢) تراجع حركة فتوح أسد في : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٦ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٨١ ، ١٨٥ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، و (معالم الايمان) ج ٢ ص ١٧ ، ويقول ياقوت (معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٠) : ان قبره في مكان بين قطانية وقصريانة ، ولا يبعد أن يكون قد وصل الى هذا المكان في احدى حركاته الحربية ، غير أن ابن خلدون (العبر ج ٤ ص ١٩٩) يقول : « انه دفن بمدينة قصريانة » والظاهر أنه توفي على مقربة من قصريانة ودفن هناك ولم يدفن في قصريانة لانها لم تفتح إلا في سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٩ م) فلم تكن خاضعة للمسلمين اذ ذاك .

تلك هي الخطوات الأولى التي خطتها قوات المسلمين في الجزيرة تحت قيادة الفقيه (أسد ابن الفرات) ، وهي على قلتها قد مهدت الطريق أمامهم الى الفتح الاكبر فيما بعد ، وتأسيس أمارة اسلامية بصقلية كان لها شأن بين الأمارات الاسلامية اذ ذاك .

* * *

بعد وفاة أسد بن الفرات

ولى الجند بعد موت (أسد) باختيارهم : « محمد بن أبى الجوارى » والمسلمون محاصرون (لسرقوسة) والمعركة على أشدها بين المسلمين والروم ، والوباء لا يزال يفتك بالمسلمين فتكا ذريعا ، واشتد الأمر عليهم وتحرج موقفهم ، فلما رأى القائد الجديد الخطر الذي يهدد المسلمين وانقطاعهم في هذه الجزيرة النائية ، ثم وصول امدادات بحرية وبرية من القسطنطينية ، عزم على رفع الحصار عن سرقوسة ، والعودة الى أفريقية ، وأوعز الى من بالمراكب بالاستعداد للرحيل ، ولما حاول الانسحاب الى أفريقية وجد قوات الروم وأساطيلهم يعترضون طريقهم ، ويسدون المرسى الكبير للحيلولة بينهم وبين الخروج ، فلما أدرك المسلمون أن محاولتهم فاشلة وأنه لا مفر من بقائهم بالجزيرة ، أحرقوا سفنهم وعادوا الى البر ، وامتنعوا بداخل الجزيرة (١) .

لماذا أحرقوا السفن ؟

لا شك أن هذا الفعل من المسلمين صنع اليائس المغامر ، اذ أن احراق السفن مخاطرة جسيمة ، حيث كان الجائز أن يتأخر المدد ويحيط بهم العدو ، واذا لم يجدوا ملجأ في اليابسة فماذا يصنعون ؟ ليس أمامهم الا سفنهم يحاولون النجاة عليها ، ولعلهم كانوا ينجحون ، وها هي ذى قد أحرقت ، فليس هناك اذا غير البحر يلقون بأنفسهم بين أحضانه ، فاذا ضنوا بها على الفرق فانهم يستسلمون للعدو ، وهو اما أن يستأصلهم أو يسترقهم ، ولا أخاله يمن عليهم بالعفو ، فيسرحهم الى بلادهم .

وليس للحادث من تعليل معقول الا أن يكون المسلمون قد رأوا حرمان العدو منها ، حتى لا يقوى بها ، وبالتالي ليكون ذلك دافعا للمسلمين على الاستبسال في القتال بعد أن عرفوا أن لا سبيل الى العودة لبلادهم ، شأنهم في ذلك شأن المسلمين حينما أحرقوا سفنهم في الاندلس مرة ، وفى جزيرة اقريطش (كريت) مرة أخرى ، وأن كان المسلمون في الاندلس واقريطش قد أحرقوا سفنهم طواعية واختيارا ، أما هنا فقد اضطروا الى احراقها بحكم الظروف القاهرة ، وكان ذلك — على أي حال — عملا سياسيا محمودا ، وكأنما أراد القدر أن يظل المسلمون في صقلية ، ليكتبوا فوق أديم أرضها صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي المجيد .

* * *

استمرار المسلمين في الفتح

بعد أن أحرق المسلمون سفنهم ، وأكرهوا على البقاء في الجزيرة على ما هم فيه من شدة وعناء ، لم تذهلهم الصدمة فيقفوا جامدين ، بل تفرقوا فيها أسرابا يغزون بسائطها ويحاصرون قلاعها ومضوا فى افتتاح مدنها وثغورها تباعا ، فسارت فرقة ناحية الشمال الغربى ، وأرغمت (ميناو) (٢) على التسليم بعد ثلاثة أيام ، فملك المسلمون حصنها وسكنوه ، ثم انقسم الجيش الى فرقتين ، فرقة قصدت حصن (كركنت) (٣) في الجنوب الغربي ، فقاتلت أهله وملكته وسكنت فيه ، وقد قويت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا به .

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٩ .
(٣٠٢) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

غدر فهزيمة

ثم سارت الفرقة الثانية الى مدينة (قصريانة) في وسط الجزيرة ، وكان يرافقها (فيمى) فلما قاربوها خرج اليه أهلها ، وبذلوا له الطاعة ، وخدعوه حيث قالوا له : نكون نحن وأنت والمسلمون على كلمة واحدة ، ونخلع طاعة الملك ، وسالوه العودة من الغد حتى ينظروا في أمر شروط الصلح ، فرجع عنهم يومه ولم يقاتلهم ، وكان على المسلمين أن ينتظروا نتيجة هذه المفاوضة ، ثم جاءهم (فيمى) من غد ، وكان في قلة من الرجال ثقة منه بحسن نيتهم ، وصدق حديثهم ، فاستقبلوه مظهرين الطاعة ، والخضوع حتى تمكنوا منه ، فاخرجوا سلاحهم الذي كانوا يخفونه بمكان الاجتماع ، وثاروا به وقتلوه .

نجح أهل (قصريانة) في تمثيل قصة الغدر بفيمى ، وظهر عندئذ انهم لن يسلموا المدينة للمسلمين بسهولة ، وانهم على ولائهم لامبراطور القسطنطينية ، فصمموا على حصارها ومقاتلة أهلها ، وبينما هم يحاصرونها جاءتها نجدة من سرقوسة لتخليصها من أيدي المسلمين بقيادة تورط (تيودوتس) ، ونشب القتال خارج المدينة بين المسلمين وقوات تورط ولم يلبث القتال طويلا حتى تمت الهزيمة على الروم ، وقتل خلق كثير وهرب قائدهم تورط .

★ ★ ★

وفاة القائد المسلم

قوى المسلمون بهذا النصر ، وصمموا على الجهاد ومواصلة الفتح ، وانفرج الأمر عليهم بعد شدته ، وبينما هم في نشوة الفرح اذ قضى قائدهم نحبه في أوائل سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩م) وخلفه (زهير بن عوف) وقيل (ابن غوث) في قيادة المسلمين بالجزيرة ، وعلى عهده انقلب نصر المسلمين الى هزيمة ، وحاصرهم الروم في معسكرهم بالقرب من قصريانة حتى جهدهم الحصار ، وضاق عليهم الأمر ، فعزموا على مهاجمة الروم ليلا للايقاع بهم ، لكسر الحصار المضروب عليهم ، ولكنهم فشلوا في محاولتهم ، وأوقع بهم الروم ، وقتلوا كثيرا منهم في كمين أعدوه لهم لأنهم كانوا قد عرفوا ما بيتوه لهم ، ومن ثم عادت فلولهم الى مدينة (ميناو) ولحق بهم الروم ، وضربوا عليهم الحصار فيها ، وضيقوا عليهم الخناق حتى قلت الاقوات ، ثم انعدمت وجهدوا من الجوع . فاكلوا دوابهم ، ولما سمعت حامية (كركنت) بما نال اخوانهم في (ميناو) داخلهم الخوف ، وخشوا سوء المصير فخربوا المدينة ، ورحلوا الى ثغر (مازر) بعد أن عجزوا عن نصرة اخوانهم في (ميناو) (١) .

في هذا الوقت جاءت امدادات من افريقية ، ووصل في الوقت نفسه أسطول أندلسي من السرايا المجاهدة المغامرة ، وأغار رجاله على أطراف الجزيرة لحسابهم سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠م) فاستولوا على عدة قلاع ، وامتلأت أيديهم بالسبى والغنائم ، واتصل بهم المسلمون في (مازر) وسالوهم اغاثة اخوانهم في (ميناو) فأجابوهم الى ذلك ، وقصد الجميع (ميناو) واستطاعت قوات المسلمين المشتركة أن تهزم قوات الروم عند (ميناو) وتجليها عنها ، ويتزحزح مختنق من كان بها من المسلمين ، ويذهب (تورط) الى قصريانة ليحتمي بها ، وعندئذ دمر المسلمون (ميناو) وتركوها قاصدين متابعة (تورط) وقتاله سنة ٢١٥ هـ (أغسطس سنة ٨٣٠م) وسرعان ما التقوا به ونازلوه ، ثم كتب النصر للمسلمين وقتل (تورط) قائد الروم . (٢)

★ ★ ★

(١) الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، والبيان المغرب ، ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٦٦ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

بعد أن دمرت (ميناو) وهزمت قوات الروم عند (قصريانة) وقتل قائدهم تأهب المسلمون لحركة غزو جديدة على الرغم من انتشار وباء الطاعون بينهم ، وعودة معظم مسلمي الأندلس الى ديارهم ، وتعرض من بقي من المسلمين لشدة قتال الروم ، وضعف مقاومتهم لهم ، وذلك أنه وفد على الجزيرة في أواخر عام ٢١٥ هـ (يناير سنة ٨٣١م) وال جديد هو الأمير (محمد بن الأغلب) ليتولى القيادة ، فتنفس المسلمون الصعداء لمقدمه ، وساروا بقيادة أميرهم الجديد صوب الشمال الغربي قاصدين ثغر (بلرم) فوصلوها ، وضربوا الحصار عليها وضيقوا الخناق على من بها ، ولما لم تصل امدادات من القسطنطينية لتخليصها ، تفاوض أهلها مع المسلمين ، واتفقوا على تسليم المدينة بشرط أن يسمح لقائدها وعائلته وما يملكه ، وللمطران بمغادرتها بحرا الى القسطنطينية ، فتم ذلك ودخل المسلمون (بلرم) صلحا في رجب سنة ٢١٦ هـ سبتمبر سنة ٨٣١ م (١) .

وباستيلاء المسلمين على (بلرم) وهي أعظم ميناء في الجزيرة ، وأخصب اقاليمها أيضا ، حيث أن المنطقة المحيطة بها تعتبر أخصب بقاع صقلية ، وكان يطلق عليها : « الصدفة الذهبية » — نقول باستيلاء المسلمين على بلرم اصبح في مقدورهم أن يتخذوها قاعدة لأسطولهم ويهددون المدن والثغور الشمالية في الجزيرة ، والجزر القريبة منها ، كما كان لامتلاك (مارر) أثر واضح في نجدتهم وتخليصهم من حصار (ميناو) وتثبيت أقدامهم في الجزيرة ، وكما كان كذلك لاستيلائهم على (كركنت ، وميناو) قيمة عظيمة ، حيث ظل الطريق مفتوحا أمامهم من الغرب الى الشرق ، واستطاعوا أن يوالوا غزواتهم على الاقليم الشرقي حتى أضعفوه ، ونالوا من أهله وقلاعه ومدنه ، وأضحت (بلرم) منذ ذلك الوقت العاصمة الاسلامية للجزيرة ، وانتقلت الى الأبد عن الحكم البيزنطي (٢) ، وآذن سقوطها بالبدء الحقيقي لامتلاك الجزيرة .

★ ★ ★

باستيلاء المسلمين على ثغر « بلرم » كسبوا مركزا استراتيجيا صالحا اتخذوه قاعدة حربية لمد الفتوح في داخل الجزيرة ، ومع ذلك فقد كان يسيطر على عقولهم منذ حركات الفتح الاولى الاستيلاء على مدينة (قصريانة) التي تعتبر قلب الجزيرة ، فلذا اتجهت انظارهم بعد استيلائهم على (بلرم) اليها ، ففي الفترة ما بين سنتي ٢١٩ هـ ، ٢٢٠ هـ (٨٣٤ ، ٨٣٥ م) هاجموها ثلاث مرات انتصروا في جميعها وانتسفوا زروعها ،وخربوا أرباضها ، واضطر أهلها لمصالحتهم على أموال يدفعونها ، وعاد المسلمون وقد ساقوا أمامهم كثيرا من الأسرى الذين باعوهم بأبخس الأثمان ، وحملوا معهم كثيرا من الأموال والسلاح والمتاع . (٣)

كان المنتظر وقد تغلب المسلمون على أرباض قصريانة أن يصروا على البقاء فيها ، وأن يعززوا حاميتهم بها حتى يسلم من امتنع بالحصن ، ولكن يظهر أنهم رأوا من السياسة — وقد استعصى الحصن عليهم — الرضا بهذا العرض مؤقتا حتى يتم لهم الاستعداد الكامل لفتح هذه المدينة المنيعة فتحا كاملا باخضاع حصنها .

لم يطل انتظار المسلمين فقد استأنفوا فتوحاتهم بالجزيرة ، وأرغموا عدة حصون على الخضوع ودفع الجزية فيما بين سنتي ٢٢٣هـ ،

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ .

(٢) فتح المسلمون (بلرم) سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) وبقيت تحت سلطانهم حتى انتزعها منهم النورمان سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١ م) .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٨ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ .

٢٢٥ هـ ، (٨٣٨ ، ٨٤٠ م) كحصن : « البلوط وبلاطنو ، وقرليون » وغيرها من مدن غربي الجزيرة (١) .

كان لهذه الانتصارات ، واذعان كثير من الحصون والمدن في الجزيرة للمسلمين أثر محمود في نفوسهم ، فبعثت فيهم القوة ، وشجعتهم على مواصلة الجهاد ، واستطاعوا في خلال العشر السنوات التالية من ٢٢٦ — ٢٣٦ هـ (٨٤١ — ٨٥١م) أن يغزو قصريانة ويخربوا نواحيها بقصد اضعاف حاميتها وحملها على التسليم ، وأن تذهب حملة برية ، وأخرى بحرية الى الشمال الشرقى لمحاصرة ثغر (مسينى) برا وبحرا ، وينجح المسلمون في التغلب على مقاومة حاميته الشديدة ويسقط فى أيديهم سنة ٢٢٨هـ (٨٤٣م) .

وبسقوط (مسينى) فى يد المسلمين وقفوا في الطريق بين ايطاليا وصقلية ، وصار شاطىء صقلية الشمالى من (مسينى) شرقا الى (بلرم) غربا تحت رحمتهم ، ومستهدفا لضرباتهم القوية فيما بعد (٢) .

★ ★ ★

ثم جاء النصر تلو النصر واستولى المسلمون على الكثير من المدن والقلاع ، حتى كانت سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٨م) وصمموا على فتح (قصريانة) فهاجموها ، والحوا عليها بالقتال، واستطاعت القوات الاسلامية أن تدخلها من عورة في صبيحة يوم الخميس منتصف شهر شوال سنة ٢٤٤ هـ (٢٦ يناير سنة ٨٥٩م) (٣).

وبذلك سقط الحصن الذي ظل يقاوم مدة ثلاثين عاما ، واحتوى المسلمون على جميع ما فيه من أموال ونفائس ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرارى « وذل الشرك من يومئذ بصقلية ذلا عظيما » (٤) .

وبامتلاك المسلمين (لقصريانة) أصبحوا يسيطرون على معظم أرجاء الجزيرة ، ويتحكمون في طريق المواصلات الداخلية ، فكان ذلك أول الفتوح الحقيقية بعد (بلرم) التي عززت مركز المسلمين ، وشدت من عزائمهم كثيرا ، وواصلوا فتوحاتهم المظفرة مما أضعف قوى العدو المادية والمعنوية ، وقويت الروح المعنوية لدى المسلمين ، وآمنوا بقوتهم وقدرتهم على مكافحة عدوهم ، ونظروا الى المستقبل بعين الرجاء والأمل القوى ، وفى الحق كان لهذا الأثر المعنوى في النفوس من القيمة ما يعادل أثر الفتح المادي للمدن ، والقلاع والحصون ، ولذا فانا نعتبر أن الفتح الاسلامي لصقلية أصبح تاما الآن ، اذا استثنينا بعض المدن : كسرقوسة ، وطبرمين (٥) ، وبعض الأماكن الاخرى على الشاطيء الشرقي للجزيرة التي كانت لا تزال تدين بالولاء والطاعة للامبراطورية البيزنطية ، ومع ذلك فيمكن أن يقال : « بأن صقلية قد أصبحت اقليما اسلاميا » .



قد يبدو غريبا نجاح المسلمين في فتوحهم الى هذا الحد ، وبخاصة أيام تجدد نشاط

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٥٣ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٣١ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٠ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ ، وانظر خريطة (جزيرة صقلية) للاستدلال على مواقع هذه المدن الثلاث .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٥٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ودائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦٠٩ .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٩٠ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٢ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٥) انظر خريطة (جزيرة صقلية) (سقطت طبرمين سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) ، وسرقوسة سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) .

الامبراطورية البيزنطية ، وأعادة حيويتها في عصر الامبراطور : باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م) الذي هددت أساطيله (بلرم) أكثر من مرة فرنتها قوات المسلمين خائبة في الوقت الذي كان المسلمون يجتازون فترة اضطراب وعدم استقرار في الداخل مما أدى الى تولى سبعة ولاة في الفترة من سنة ٢٥٧ — ٢٥٩ (٨٧٠ — ٨٧٢م) لم يمكث بعضهم أكثر من شهر واحد (١) .

غير أن هذا الاضطراب لم يلبث طويلاً حيث تغير الموقف بتولية : « ابراهيم بن أحمد » افريقية (٢٦١ — ٢٨٩ هـ — ٨٧٤ — ٩٠١ م) فأصدر أوامره المشددة الى والي صقلية وقتئذ : « جعفر بن محمد » بضرورة العمل بحزم وعزم ضد المدن الموالية للامبراطورية البيزنطية في الجزيرة ، فكان أول أثر لهذه الأوامر المشددة هو حصار ثغر « سرقوسة » الذي انتهى بسقوطه سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨م) بعد حصار استمر تسعة أشهر ، وانتقل الى أيدي المسلمين ، وخرج عن حكم البيزنطيين الى الأبد . (٢)

وبذلك وبعد نيف وخمسين عاما انكمشت المقاطعات الامبراطورية البيزنطية المسيحية في صقلية الى نقط قليلة على الساحل الشرقي ، أو على مقربة منه ، وانتقل مركز المسيحية الى قرية صغيرة بالقرب من (مسينى) تدعى (رمطة) (٣) .

ولعل العرب كانوا لا يرون استحقاق هذه الجهات لعناء ما يبذلون في سبيل أخذها لأن معظمها حصون جبلية قد لا يكون في امتلاكها مصلحة محققة للمسلمين ، ولا يضرهم بقاؤها في أيدي المسيحيين ، على أننا نرى أن ترك المسلمين لهذا الاقليم في أيدي المسيحيين جعل منه وكرا لدسائسهم ضد النفوذ الاسلامي في صقلية وقد أثبت الواقع خطأهم ، حيث بدأت من هذا الاقليم الحركات المعادية للنفوذ الاسلامي ، والتي انتهت بطرد المسلمين من الجزيرة ، وهذا الموقف أشد ما يكون شبها بما فعله المسلمون في الأندلس ، حيث تركوا الاقاليم الجبلية الشمالية ، ولم يعنوا باخضاعها تماما لنفوذهم اكتفاء بما ملكوا من باقي شبه الجزيرة ، ولجأ النصارى الى هذه النواحي فكانت هي النواة التي امتد منها نفوذ المسيحية فيما بعد وقوى حتى أدى أخيرا الى طرد المسلمين من الأندلس المسلمة بعد ثمانية قرون .

* * *

ومع ذلك فقد تم آنئذ فتح صقلية الذي بدأ منذ سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) وظلت صقلية تحت حكم المسلمين نيفا وسبعين ومائتي سنة هجرية رسخت أقدامهم فيها ، وأنشأوا امارة اسلامية جديدة تأصلت جذور الحكم الاسلامي فيها تأصلا شديدا ، وخطوا في تاريخها صفحة تعتبر من أزهى وأمجد صفحات تاريخ الاسلام والمسلمين خلال العصور الوسطى ، وعمرت حتى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) حيث تغلب (النورمان) على المسلمين ، وأصبح الكونت : (روجرين تنكريددى هوتفل) صاحب صقلية ، ووضع أساس دولة مسيحية فتية على أنقاض الدولة الاسلامية بالجزيرة .

أما الحديث عن « صقلية تحت حكم المسلمين » فموعدنا معه في المقال التالي بعون الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية ج ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ١٩ ، والبيان المغرب ج ١ ص ١١٠ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦٠٩ ، ورمطة الى المغرب من مسينى (انظر خريطة — جزيرة صقلية) .



الأستاذ : محمود مهدي استانبولي

قام هذا الخليفة الراشد ، والحاكم العبقري بطائفة من الاجراءات الحكيمة التي ظنها بعض الناس اجتهادات منه ، جاءت خلاف نصوص الشريعة ، فأخذوا يؤولون ذلك بأن الخليفة عمر نظر الى علة النص لا الى ظاهره ، وبذلك فتحوا المجال للعبث بالشريعة والجرأة عليها تحت ستار التحري عن المصلحة ، والبحث عن علل وغايات النصوص دون ظواهرها (!!!) .

وقد سرت عدوى هؤلاء الى كثير من الشباب المثقف ، الذي أخذ يتهاون بنصوصها متخذا من صنيع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حجة له بزعمه .

وقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع الخطير ، لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهدا ، انما كان متبعا لنصوص الشريعة التي خفيت على كثير من الباحثين الذين كتبوا في هذا البحث الشائك . وسأنقل كلامهم وأرد عليه .

١ ـ قالوا : ان عمر منع سهم المؤلفة قلوبهم مع أن سهمهم مفروض بنصوص القرآن ، وأولوا ذلك بأنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ نظر الى علة النص لا الى ظاهره ، فقد كانت علة اعطائهم تأليفهم واتقاء شرهم عندما كان الاسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الاسلام زال الداعي الى اعطائهم .

أقول : ان هذا الخليفة فهم معنى لفظ المؤلفة قلوبهم محدودا بطائفة معينة من الناس ، فلما زالت أوقف سهمها ، بينما هذا السهم أوسع من ذلك فيما دلت عليه نصوص الأحاديث الكثيرة التي وردت حول سهم المؤلفة قلوبهم ، والتي بينت أصنافهم ، وقد شرح ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره فقال : « وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطي ليسلم ، كما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين . وقد كان شهدها مشركا ، قال : فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس الي بعد أن كان أبغض الناس الي : كما قال الامام أحمد : حدثنا زكريا ابن عدي ، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين ، وانه لأبغض الناس الي ، فما زال يعطيني حتى انه لأحب الناس الي . ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري » .
ومنهم من يعطي ليحسن اسلامه ويثبت قلبه كما أعطى الرسول يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء واشرافهم مائة من الابل ، وقال : « انى لأعطي الرجل ، وغيره أحب الي منه ، خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم » . وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن عليا بعث الى النبي بذهبية في تربتها من اليمن ، فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة وزيد الخير ، وقال : « أتألفهم »
ومنهم من يعطي لما يرجى من اسلام نظرائه ، ومنهم من يعطي ليجبي الصدقات مما يليه ، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم .
وهل تعطى المؤلفة قلوبهم على الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .
فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد اعز الاسلام وأهله ومكن لهم في البلاد ، واذل لهم رقاب العباد .
وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة ، وكسر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم أ هـ .
وعلى ذلك فلا يصح أن يقال ان عمر منع المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة ، بل الصواب أنه انما منع من ليس من المؤلفة قلوبهم في فهمه هو ، ولذلك فلا يجوز ، أن يتخذ فعل عمر هذا مثالا للمنهاج الفقهي الواقعي ، والنظر الى علة النص ، لا الى ظاهره فليس في المسألة أكثر من فهم خاص لهذا النص القرآني .

ان سهم المؤلفة قلوبهم لو استخدمه المسلمون في أيام مجدهم وثرائهم لاشتروا به كثيرا من المرتزقة الذين يضللون اقوامهم أو يسكتون على ضلالهم لتتسنى لهم الحياة الرغيدة ، فلو وجدوها من المسلمين عن طريق هذا السهم لدخلوا في دين الله افواجا وأدخلوا أقوامهم معهم !.
ولو كان لي من الأمر شيء ، لجعلت سهم المؤلفة قلوبهم لتأليف كتاب الغرب وأدبائه وأرباب صحفه ليثنوا على الاسلام ويدافعوا عنه ويحضوا أقوامهم لاعتناقه !.
ومهما كان من اجتهاد الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه ، فقد كان اجتهاده في فهم النص ، لا في تركه ، فله أجر الاجتهاد لقوله صلى الله عليه وسلم :
« اذا أصاب الحاكم فله أجران ، وان أخطأ فله أجر » ورحم الله تعالى الامام مالكا فقد قال :
« كلهم يرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .
٢ ــ وقالوا : وكذا اجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين واكتفائه بتعزير السارق عن قطع اليد في عام المجاعة المسمى بعام الرمادة ، فاعتبر فيه شبهة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة .
اقول : ليس في عمل الخليفة عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين عام المجاعة اجتهاد منه ، فانه لا اجتهاد في مورد النص ، انما هو اتباع لنص قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وقوله سبحانه : (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) .
واستبعد لجوء هذا الخليفة الراشد حتى الى تعزير السارق المضطر ، ــ كما زعموا ــ وقد أعلن الله سبحانه بأنه (لا اثم عليه) .
٣ ــ وقالوا : وكذلك اجتهد عمر في منع تقسيم أراضي سواد العراق

على المجـاهدين الفاتحين لها الذين طالبوا بتقسيمها بينهم كما تقسـم الغنائم الحربية بعد تخميسها حسب نص قوله تعالى : (واعلموا أنمـا غنمتم من شيء فأن للـه خمسـه وللرسول ولذي القربى واليتامـى والمساكين وابن السبيل ..)

وقالوا أيضا وقد ذهب عمر الـى خلاف رأى هؤلاء المجاهدين ، فاعتبر الأراضي من الفيء الذي تتعلق بـه حقوق المسلمين عامة حاضرهم وآتيهم رعاية لمصلحة الأجيال وحقوقها في بيت المال ، وفقا لما ينبيء به النظر السديد الـى مجمـوع النصـوص القرآنية لا الى بعضها دون بعض .

فأبقى ــ لذلك عمـر الأرضـين لأهلها وطرح عليها ضريبة الخراج ، لأن ذلك أصلح لاحيائها ، وأعم وأدوم لنفعها .

وقالوا أيضا :

وقد ثبت في السنة أنه عندما فتح النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ خيبر ، وقد فتحت عنوة لا صلحا ، ونزل أهلها اليهود والمحاربون علـى حكم الجلاء ــ عـدت أراضيها مـن الفيء ! وعزل النبي نصفها ، فتركه للنوائب والنوازل ، وقسم الباقي بين المسلمين : ــ

أقول : من الغريب أن يزعم هؤلاء ، أن عمر اعتبر أراضي سواد العراق من الفيء ، كأن المسألة كيفية !! وقد فتحت عنوة بايجاف الخيل وصولة الجيش في المعارك الحربية ، وأغرب من ذلك أن يزعموا أن الرسول صلى اللـه عليه وآله وسلم نفسه اعتبر أيضا أراضـي خيبر من الفيء ! وقد فتحت عنوة !!

ما أبعد الفرق بين توزيع أموال الغنائـم وأموال الفيء ، وقد ذكرنا سابقا آية توزيـع الغنيمة ، وها نحن أولاء نذكر آية تعريف الفيء وطريقة توزيعه :

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . مـا أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللـه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكـين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنيـاء منكم » .. (الحشر) .

فهل يتصور العقل أن يعتبر عمر أراضـي العراق من الفيء وقد فتحت عنوة وحربا ؟!.

أم هل يتصور العقل أيضا أن يعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام أراضي خيبر فيئا ، وقد فتحها بالحرب والقتال ؟!.

ان هؤلاء لما رأوا عدم توزيـع أراضـي العراق وخيبر حسب آية الغنائم لجأوا الـى هذه التأويلات ، زاعمين أنها اجتهادات مـن عمر ! .

ومن المؤسف أن هؤلاء المدعين لجأوا الـى تتمة آية الفيء في سورة الحشر السابقة لاثبات دعواهم وهي : « للفقراء والمهاجرين الذيـن أخرجوا من ديارهم .. الخ « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم » الخ .. « والذين جاءوا من بعدهم .. » وزعموا بأن الخليفة عمر بعد تلاوة قوله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم » قال للمجاهدين الذين طلبوا توزيع الأراضي :

« ما أرى هذه الآية الا عمت الخلق كلهم حتى الراعي بكداء .. » .

ومن الغريب أن الحشر جاءت كلها في الفيء فكيف يعقل أن يحتج بها الخليفة عمر لرد طلب المجاهدين في توزيع الأراضي التـي فتحـت عنوة ؟!.

والصواب أن هذا الخليفة انما استشـار المسلمين في طريقة توزيع أموال الفـيء ، لا أموال الغنائم .

جاء في كتاب « الدر المنثور في التفسـير بالمأثور » للسيوطي . أخرج ابن أبي شيبـة وابن مردويه والبيهقي عن زيد بن أسلم عـن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه . ثم قال لهم : اني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه ؟ واني قرأت آيات من كتاب اللـه ، أقلقتني : سمعت الله ــ تعالى ــ يقـول : (ما أفاء الله على رسوله ــ الى قولـه ــ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعـل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) والله ما هو لهؤلاء وحدهم ، « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا » ــ الى قوله : « رحيم » ــ والله ما أحد من المسلمـين الا له

حق في هذا المال اعطى منه أو منع منه حتى راع بعدن .. وقسم عمر ذات يوم من المال فجعلوا يثنون عليه ، فقال : ما أحمقكم ! لو كان لي ما أعطيتكم درهما ! أ هـ .

ومما سبق ندرك أن اجتهاد عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان في طريقة تقسيم الفيء لا الغنائم خلافا لما ذكره من نحن بصددهم .

نعود بعد هذه التوطئة الى الكلام على حجة الخليفة عمر في عدم توزيع اراضي العراق على المحاربين نقلا عن الامام ابن القيم رحمه الله تعالى ومنه ندرك ونتحقق أن هذا الخليفة لم يكن مجتهدا ، خلافا للنص ، انما كان متبعا للنص النبوي .

جاء في كتاب زاد المعاد :

« .. والامام مخير في أرض العنوة بين قسمها ، ووقفها وقسم بعضها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنواع الثلاثة : فقسم قريظة والنضير ـ اي على المحاربين ـ ولم يقسم مكة . وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها (١) .

فيكون عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ اختار في أراضي العراق ما فعله الرسول فى مكة .

وقد يعترض على هذا الكلام معترض ، فيقول أن مكة لم تفتح عنوة ، وهذا الاعتراض مردود ! .

قال الامام ابن القيم :

والذي يدل على أن مكة فتحت عنوة وجوه : أحدها انه لم ينقل احد قط أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهلها زمن الفتح ، ولا جاءه أحد منهم صالحه عن البلد ، وانما جاءه أبو سفيان ، فأعطاه الأمان لمن دخل داره ، أو اغلق بابه أو دخل المسجد أو القى سلاحه .

ولو كانت قد فتحت صلحا لم يقل : من دخل داره أو أغلق بابه أو دخل المسجد فهو آمن ، فان الصلح يقتضي الأمان العام . والثاني ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه أذن لي فيها ساعة من نهار ، وفي لفظ أنها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ، وانما أحلت لي ساعة من نهار ، وفى لفظ فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقولوا : « ان الله اذن لرسوله ، ولم يأذن لكم » وانما أذن لى ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس » .

وهذا صريح في أنها فتحت عنوة ، وأيضا فانه ثبت في الصحيح أنه جعل يوم الفتح خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى ، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البيادقة وبطن الوادي .. وأيضا فان أم هانىء أجارت رجلا ، فأراد على ابن أبي طالب قتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » وأيضا ففي السنن باسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يوم الفتح قال : أمنوا الناس الا امرأتين وأربعة نفر اقتلوهم ، وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة والله أعلم (٢)

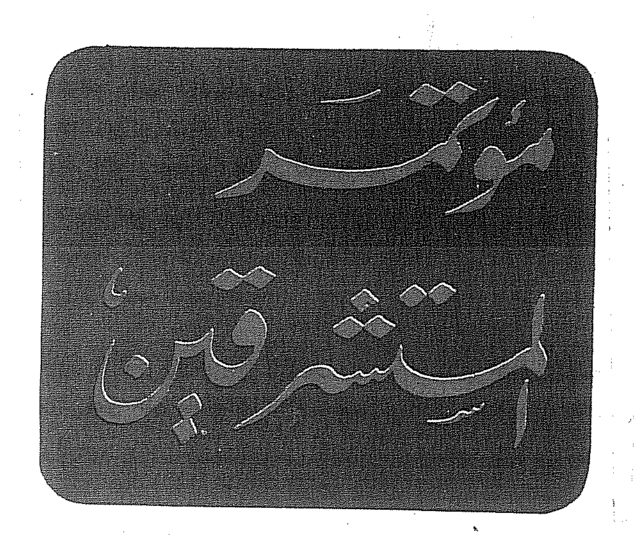
أكتفي الآن بهذا القدر ، آملا ان أكون وفقت لاقناع الذين كتبوا في اجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، الى مبلغ حرص هذا الخليفة الراشد على نصوص الشريعة وتمسكه بها ، وقد كان اجتهاده ينحصر في تقديم نص على آخر رأى فيه مصلحة للمسلمين .

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب ، او القى السمع وهو شهيد .

---

(١) ١٣٧/٢ باختصار .

(٢) زاد المعاد ٦٩/٢ ـ ٧٠ باختصار



الدكتور محمد عبد الرؤوف

مدير المؤسسة الاسلامية بنيويورك

اكتب هذا من جامعة « متشيجن ـ Michigan » الكائنة بمدينة « آن اربر ـ Annarbar » التى تبعد عن مدينة « نيويورك » نحو سبعمائة ميل ، فقــد عقد بهذه الجامعة الدورة الســابعة والعشرون لمؤتمر المستشرقين العالمى لمدة اسبوع بدأت يوم الاحد الثالث عشر من شهر اغسطس ١٩٦٧ .

ولأول مرة يعقد مؤتمر المستشرقين فى أمريكا ، وهذا يعكس مبلغ التطور العظيم الذى وصلت اليه الدراسات الشرقية من اسلاميات وغيرها بالولايات المتحدة الامريكية ، ولم يعقد المؤتمر خارج أوربا منذ تاسس فى القرن الماضى وعقد اجتماعه الاول فى باريس بفرنسا عام ١٨٧٣ الا ثلاث مرات ، هذه المرة حيث عقد فى حرم هذه الجامعة الامريكية ، ومرتين قبلها ، احداهما حين عقد بالجزائر عام ١٩٠٥ والاخرى حين عقد فى مدينة « نيودلهى » بالهند عام ١٩٦٤ .

وقد حضر المؤتمر فى هذه الدورة ممثلون من أكثر من خمسين دولة ، وبلغ مجموعهم اكثر من الفين وخمسمائة من شرقيين وشرقيات ، ومستشرقين ومستشرقات ، وذلك رغم تخلف عدد كبير ممن كان مزمعا الحضور وتاخر فى آخر لحظة ، من بين هؤلاء الوفد السوفيتى ووفد الصين الشيوعى ووفود بعض البلاد الاخرى .

وكان المسئول عن تنظيم هذه الدورة « جمعية المستشرقين الامريكية » The American Oriental Socieły و « جمعية الدراسات الاسيوية - The asso ciation for asian studies »
وتلقت الهيئة المنظمة للمؤتمر مساعدات مالية من حكومة الولايات المتحدة ومن بعض المؤسسات

المالية والاقتصادية والثقافية بأمريكا ، فأعانها ذلك على تيسير الحضور على الراغبين من العلماء من الخارج فنظمت طائرات خاصة أحضرتهم الى مقر الاجتماع من أوربا والشرق الاقصى بأجور زهيدة للغاية ، ونزل جميع القادمين من خارج أمريكا ضيوفا عليها أثناء مدة انعقاد الدورة . وقد أنزل هؤلاء وغيرهم من العلماء الامريكيين والعلماء المقيمين بامريكا ممن اشترك فى المؤتمر فى مساكن الجامعة ، وقدمت لهم الوجبات ، وقد اتبع فى ذلك أسلوب أمريكى مبسط وعملى ، فكان اذا حان وقت الطعام دخل السادة العلماء صفوفا وجمع كل منهم اطباق طعامه وحملها الى مائدة ليجلس عليها ، فاذا فرغ اعادها بنفسه الى حوامل خاصة تجمع عليها .

وجامعة « متشيجن » التى رحبت بعقد المؤتمر فى رحابها تعتبر احدى الجامعات الامريكية ذات الشهرة العالمية ، وقد مضى على تأسيسها مائة وخمسون عاما ، والمدينة التى توجد بها هادئة وتكثر بها الاشجار والزهور ، ويضفى ذلك على الجامعة ومنشآتها جوا من الهدوء الشامل مما يساعد على التركيز وصفاء الذهن ، ويمكن من التركيز والتفرغ للدراسة والبحث العلمى ، لذلك كان اختيار هذه الجامعة مقرا لعقد هذه الدورة للمؤتمر اختيارا مناسبا . ومع ذلك فقد حرصت الهيئة التى نظمت المؤتمر على أن تمكن العلماء المشتركين فى هذه الدورة القادمين من اقطار خارج أمريكا من زيارة كل من واشنطون ونيويورك فنظمت لهم جميعا رحلة لمدة ثلاثة ايام فى كل من المدينتين . وكان مما شرح صدرنا فى جامعة « متشجين » نشاط جمعية الطلاب المسلمين بها ، فقد يسروا لنا الاجتماع لأداء فريضة الجمعة كما أقاموا حفلا شائقا للمشتركين من علماء المسلمين فى المؤتمر .

ولكلمة الاستشراق فى اذهاننا معشر المسلمين صدى يرتبط بمعانى التعريض بالاسلام والطعن عليه ومحاولة تشويه تعاليمه السليمة . واننا لمعذورون فى ذلك ، فقد اقترنت حركة الاستشراق بحركة الاستعمار الغربى والتبشير بالدين المسيحى بين المسلمين ، واتخذت دراسة الاسلام وتاريخه وفلسفته ولغته ذريعة للوصول الى أعماق جماعات المسلمين والدخول بينهم ومحاولة التأثير على الضعاف منهم واستخدمت فى نفس الوقت لتشويه سمعة الاسلام والاساءة الى كتابه المقدس والطعن على رسوله الكريم .

ولكن هناك ملاحظة يحسن أن نذكرها ، وهى أن كلمة الاستشراق لا تقتصر على تخصص الباحث فى دراسة الاسلام والعربية ، ولكنها تعنى التخصص فى دراسة حضارة من الحضارات الشرقية ، فهناك مستشرق متخصص فى حضارة الاسلام ، وآخر متخصص فى دراسة حضارة الصين ، وثالث متخصص فى حضارة الهند ، وغيرهم متخصص فى حضارة عالم الملايو ، وهناك غيرهم وغيرهم ، لذلك اذا أنت قلبت صفحات الكتاب الذى يحتوى على برامج هذه الدورة للمؤتمر لوجدته موزعا على شعب عشرة هى كما يلى :

شعبة الحضارات القديمة بالشرق الادنى ، شعبة العالم الاسلامى والشرق الادنى ، شعبة جنوب آسيا فى العصور القديمة ، شعبة جنوب آسيا فى العصر الحديث ، شعبة جنوب شرقى آسيا ، ثم شعبة الصين وحضارتها فى العصور القديمة ، وشعبة الدراسات الصينية فى العصر الحديث ، وشعبة الدراسات اليابانية ، وشعبة الحضارات فى وسط آسيا وشعبة دراسات الحضارة الكورية . وتتناول الدراسات فى كل واحدة من هذه الشعب كل ما تتصوره من نواحى العلوم والدراسات تاريخية ومعمارية وفنية ولغوية ودينية وفلسفية وغيرها . فالدراسات فى الشعبة

الاولى مثلا تتناول الحضارة المصرية القديمة بجميع فروعها والحضارات البابلية والآشورية والفينيقية واللغات السامية الى غير ذلك .

فالمستشرق هو الاوربى الذى يعنى بدراسة فرع من هذه الفروع أو حضارة من هذه الحضارات فالمستشرق غربى أوربى رجلا أو امرأة يتخصص فى دراسة حضارة من حضارات الشرق الاقصى أو الشرق الادنى ، ولا يطلق اللفظ عادة على من يتخصص فى دراسة احدى هذه الحضارات من أهل الشرق ، فهم شرقيون أصلا لا اكتسابا ، وان كان هناك الآن اختلاط وتعاون بين العلماء فى هـذه النواحى الدراسية وتلاق بينهم فى المحافل والمؤتمرات العلمية بصرف النظر عن البلد الذى جاء منه العالم أو الجنس الذى ينتسب اليه .

وهناك ملاحظة أخرى ، هى ان المستشرق الاسلامى ، أى العالم الغربى الذى يتخصص فى دراسة علوم الاسلام والعربية ، وان كان موضع الريبة منا معشر المسلمين ، كان له جهد فى احياء التراث العربى ونصيب غير قليل فى استخدام الاسلوب العلمى وأدواته الفنية الحديثة فى دراسة الحضارة الاسلامية واللغة العربية ، فان المستشرقين هؤلاء استطاعوا بفضل ما لديهم من ثروات وصلات ووسائل وتيسيرات مادية وادبية — استطاعوا أن يبعثوا من ذخائر الكتب والبحوث التى خطها أسلافنا الامجاد ما زاد فى ثروتنا العربية الاسلامية الى حد مرموق ، كما أنه كان من بينهم من وضع الفهارس وبوبها ونظمها ، ويسر على الباحثين عملهم ، ووضع الخطة لمن جاء بعدهم ، فنسج على منوالهم ، وزاد على ما انتجوا مادة واتقـانا ودقة ، وكان منهم كذلك من أبرز بعض نواحى المجد فى تاريخنا العريق وثقافتنا الشاملة . ولكننا مع ذلك نحذر من المغالاة والتورط ، ونحذر من أن تعمينا غمرة التقدير لمـا أنتجه هؤلاء عن فضل أسلافنا أو نتجـاهل يد المنتجين فى الميدان من علمائنا العرب ومحصولهم العظيم كما وكيفا وأسلوبا ، وأن هذه اليد التى أسـداها بعض المستشرفين كانت فى الاعم الاغلب نتيجة لتحقيق أهداف ترجع لصالحهم أو لاشباع رغبـات تتعلق بهم ، فما كان هدفهم الدفاع عن حوزة الاسلام أو بيان سلامة عقيدته وصلاح مبادئه ، وما قصـدوا انماء ثروة العربية أو احياء مجد العروبة ، كما أن غير القليل من الاجيـال العربية التى عاصرت حياة الاستشراق وتعاصره كان لهم ما يضارع فضل هؤلاء أو يفوقه فى مجالات البحث والتأليف والانتاج فى أسلوب علمى وذوق أدبى مع تجنب التعصب ، والسعى وراء الحق من أجل الحق .

وفى كل دورة يختار رئيس للمؤتمر وأمين عام له من بين العلماء فى البلد الذى تعقد فيه الدورة وقد اختير الاستاذ « نورمان براون » رئيسا لهذه الدورة ، والاستاذ « رسيل فايفيلد » أمينا عاما ، والاول أستاذ بجامعة « بنزلفانيا » تقدمت به السن ، وهو مستشرق عالمى معروف وذو انتاج عظيم فى حقل الدراسات الهندية ، أما الآخر فهو أستاذ بجامعة « متشجين » وله انتاج خصب فى مجال حضارة جنوب شرقى آسيا ، وللمؤتمر لجان وهيئات من أهمها اللجنة الاستشارية ، ويسرنا أن نذكر أن من بين أعضائها الاستاذ محمد خلف الله أحمد العالم الاسلامى والاديب العربى المعروف ، وكان لكل شعبة من الشعب الدراسية التى تحدثنا عنها رئيس يتولى الاشراف عليها وتنظيمها ، وكان رئيس الشعبة الاسلامية فى هذه الدورة الاستاذ ج. أ. فون جرونباوم وهو أستاذ بجامعة « كاليفورنيا » وله مؤلفات وبحوث عدة عن الاسلام منها كتاب عن الاعياد الاسلامية وآخر بعنوان « الاسلام فى القرون الوسطى » وثالث بعنوان « الاسلام الحديث » .

وقد بدأ المؤتمر بجلسة افتتاحية عقدت فى اليوم الأول بالقاعة الكبرى بالجامعة التى اكتظت بالمؤتمرين ، وقد حيا فيها مدير الجامعة المؤتمر ورحب بعلمائه ، وخير ما ألقى فى هذه الجلسة خطاب رئيس الدورة السابقة الاستاذ « همايون كبير » العالم الهندى المعروف ، فقد ذكر العلماء بواجبهم نحو الانسانية والعمل على التقريب بين وجهات النظر ، وذكر أن أسباب الحروب والمنازعات ترجع الى خوف الاقليات من الاكثرية وحرص الاكثرية على المميزات التى تتمتع بها وخوفها من التحلل نتيجة لتحدى الاقليات ، وأرجع عوامل الانقسام فى المجتمع البشرى الى اختلاف اللون أو الدم أو اللغة أو الدين أو المذاهب السياسية والاقتصادية ، ثم ناقش هذه العوامل بايجاز وبين أن عوامل الوحدة الانسانية أقوى من أسباب الاختلاف ، واستشهد بما صنع الاسلام لعدد كبير من القرون من استيعاب جميع العناصر التى قبلت هذا الدين على اختلاف لغاتها والوانها واقطارها وتجاربها التاريخية ، فوحد جماعاتها وسوى تماما بينها . وهيا جوا تسوده العدالة والسلامة والامن والاستقرار .

ثم بدأت الشعب الدراسية وحلقاتها اجتماعاتها فى المواعيد والاماكن التى خصصت لكل منها وكانت الحلقات تعقد جلستين كل يوم طول كل منهما ساعتان ونصف ، تبدأ الاولى فى التاسعة والنصف صباحا والاخرى فى الثانية والنصف بعد الظهر ، وفى المساء كان هناك انواع اخرى من النشاط والاستقبالات ، وكان من أطرف هذا النوع من النشاط المسائى أن شاهدنا شريطا سينمائيا طويلا عن حفريات أجريت فى جنوب الجزيرة العربية فى أوائل الخمسينيات أسفرت عن اكتشافات تاريخية علمية هامة . وسار الامر على هذا النهج حتى انتهى المؤتمر بعقد جلسة ختامية أعلن فيها فض الدورة وتليت فيها بعض القرارات وتحدث فيها بعض الاعضاء بالشكر للهيئة التى اشرفت على تنظيم المؤتمر لما بذلوا من جهد وما قدموا من ترحيب ، وقد بعث الرئيس « جونسون » رئيس حكومة الولايات المتحدة برسالة حيا فيها المؤتمر ، كما بعث « أوثانت » السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة رسولا القى خطابا باسمه فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

ولم تكن كل شعبة من الشعب التى ذكرناها تجتمع كلها معا ، وانما قسمت كل شعبة الى اقسام أو حلقات دراسية قد يكثر عددها أو يقل ، ولقد كانت الحلقات الدراسية التى قسمت اليها الشعبة الاسلامية أكثرها عددا ، فلقد اشتملت على الحلقات الآتية « الشرق الادنى فى العصر الحديث ، الادب الفارسى ، اللغة العربية ، الادب العربى ، تاريخ الشرق الادنى ، التاريخ الاسلامى ، القيم الاسلامية ، الجغرافيا التاريخية ، المجتمع والادارة فى عهد العثمانيين ، الفن والعمارة فى الشرق الادنى ، الفقه الاسلامى ، الاقتصاد ومشكلة السكان ، الادب التركى العثمانى ، روسيا والاتراك ، الدين الاسلامى ، القرنان الثامن عشر والتاسع عشر فى الشرق الادنى ، تاريخ العثمانيين ، التجارة ، الدراسات الاسلامية ، تركيا فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، المؤلفات فى التاريخ الاسلامى » .

وقد عقدت كل واحدة من هذه الحلقات عددا من الجلسات القى فى كل منها عدد من البحوث ونوقشت ، وقد تناولت الموضوعات النواحى التربوية والاقتصادية والسياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية ، ومست نظام المدنية الاسلامية والقيم الخلقية والنقد الادبى والفرق والمذاهب وموضوع الوحى وعلاقته بالتشريع والتصوف والموسيقا واللهجات العربية واللغات العامية ، واشتملت على تحقيقات تاريخية ودراسة لبعض الشخصيات الاسلامية وعلى مقالات عن اللغات التركية والكردية والفارسية . ويلاحظ أن هناك تداخلا بين الكثير من الحلقات التى قسمت اليها الشعبة الاسلامية ، ولكن يبدو أن المنظمين لهذه البرامج قسموا البحوث التى تلقوها الى مجموعات ، ثم اختاروا عنوانا

مناسبا لكل مجموعة منها فجعلوه حلقة خاصة بغض النظر عن صلاحية عنوان عام قد يندرج تحته عدد من هذه الحلقات .

ونتيجة لكثرة عدد هذه الحلقات وتعدد جلسات كل منها ، فان عددا منها كان يجتمع فى وقت واحد ، فكان عليك أن تدرس البرامج مقدما وتتعرف على موضوعات البحوث التى ستلقى وعلى مواعيدها ومكانها ، ثم تختار لنفسك ما تشاء ، وكان يحدث طبعا أن تجد عددا من الموضوعات تغريك كلها بالحضور ولكن قد حدد لها موعد واحد ، فتكون مضطرا لاختيار ما تراه أفضل لنفسك وأقرب الى هواك .

وكانت الانجليزية هى اللغة المتداولة فى المؤتمر ، ولكن القى قليل من البحوث باللغة الفرنسية وعدد آخر بالالمانية ، والقى حديث أو حديثان باللغة العربية .

وقد عقدت حلقة خاصة مفيدة عن مشكلة تعليم اللغة العربية تحت رعاية « جمعية معلمى اللغة العربية بالجامعات الامريكية » نوقشت فيها الجهود التى تبذل لتبسيط تعليم اللغة العربية فى الجامعات الغربية والخطط التى توصلت اليها هذه الجماعة ومنها اختيار مجموعة من المفردات الهامة لتعلم فى المرحلة الاولى ، كما نوقشت مشكلة استعمال المصطلحات العربية فى تدريس القواعد العربية ، وكان هناك اتجاه عام نحو ايثار استعمال المصطلحات العربية دون اللجوء الى مقابلها فى اللغات الاجنبية الا عند الحاجة .

وكان من أمتع الحلقات تلك التى دار البحث فيها حول ما يسمونه « اللغة العربية الحديثة » وحول اللغات العامية وخصائصها ، وهناك اتجاه فى أمريكا وبعض الجامعات الاوربية للمبالغة فى أهمية اللهجات العامية والعناية بتدريسها باعتبارها « اللغة المستعملة » ، فهناك دراسة خاصة باللغة المصرية ، وأخرى باللغة التونسية ، وثالثة باللغة المغربية .. وهكذا وهكذا . ولكن هناك حركة مقاومة لهذا الاتجاه يتولاها بعض الاساتذة من العرب الغيورين على لغتهم الفصحى والذين يتوجسون خيفة مما قد يكون وراء هذا الاتجاه من نوايا استعمارية تهدف الى توسعة الفجوة بين الفصحى والعامية من جانب ، وتمزق الوحدة العربية التى تقوم على وحدة اللغة كدعامة من دعائمها من جانب آخر .

ومن المظاهر التى شرحت الصدر كثرة عدد العلماء العرب الذين اشتركوا فى هذه الدورة للمؤتمر وكثير منهم يشغلون مناصب علمية هامة فى الجامعات الامريكية والاوربية ، على أن اهتمام العلماء العرب بالاشتراك فى هذا المحفل العلمى الكبير ليس جديدا ولا مستحدثا، وانما يسير الجيل الحاضر من علمائنا على سنة سلفهم الابرار الذين ابدوا اهتماما ظاهرا به منذ البداية ، ولو تيسر كتابة بحث مستقل يستعرض فيه اشتراك العلماء العرب فى هذا المؤتمر العلمى العالمى منذ دوراته المبكرة حتى الآن مع تلخيص لما أسهموا به من بحوث ودراسات لكان ذلك بحثا مفيدا وممتعا ، ولعل الوقت يسمح بذلك فى المستقبل غير البعيد ، ومع ضيق المقام لا يفوتنا أن نشير هنا بمناسبة ذكر اللهجات والخصومة نحو الاهتمام بالعامية الى بحثين تقدم بهما عالمان عربيان للمؤتمر فى القرن الماضى منذ أكثر من ثمانين سنة .

كتب البحث الاول المرحوم « حفنى ناصف » وقدمه للدورة السابعة للمؤتمر التى عقدت بمدينة « فينا » عام ١٨٨٦ بعنوان « مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك » . وهو بحث جيد للغاية ، يتلخص فى أن اختلاف اللهجات المعاصرة تعكس الاختلاف فى لهجات القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة بعد الفتح الاسلامى واستقرت بالبلاد المفتوحة ومن ذلك قد يمكننا التعرف على كيفية تفرق القبائل العربية من قريش وغيرها بين مختلف الاقطار ، فيقارن مثلا بين أهل المنيا وأهل بني سويف من صعيد مصر في النطق بحرف القاف وبين اختلاف طريقة النطق

بهذا الحرف بين البلدين مع ما بينهما من جوار واختلاط ، فاحدى الناحيتين تنطقها قافا خالصة والاخرى مشوبة بالكاف ، وبما أن قريشا كانت تنطقها قافا خالصة وغيرها يشوبها بالكاف ، فاستنبط من ذلك أن العرب الذين استوطنوا بنى سويف كانوا من قريش ونسب اليهم أيضا الجهات التى تنطق بالقاف صريحة من الديار المصرية كأهل الفيوم وبلبيس وغيرهما من النواحى ، ونسب من ينطق بالقاف مشوبة بالكاف كسكان الشرقية وسائر أهل الصعيد الى قبائل غير قرشية ، ويشتمل البحث على ملاحظات وفوائد أخرى كثيرة ممتعة .

وأما البحث الثانى الذى نود الاشارة اليه هنا فقد تقدم به المرحوم « أمين فكرى » فى الدورة التالية للمؤتمر التى عقدت بمدينة « استكهلم » عام ١٨٨٩ م ، وكان رئيس الوفد المصرى لدى هذه الدورة والده المرحوم « عبد الله باشا فكرى » الذى قدم بحثا آخر عن شعر حسان بن ثابت ، وكان من بين أعضاء هذا الوفد المرحوم « الشيخ حمزة فتح الله » الذى قدم بحثا بعنوان « باكورة الكلام على النساء فى الاسلام » ، أما البحث الذى قدمه « محمد أمين فكرى » فكان عنوانه « نبذة فى أبطال رأى القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية فى الكتب والكتابة » وقد أشار اليه الاستاذ محمد خلف الله فى حديثه الذى ألقاه فى هذه الدورة الاخيرة للمؤتمر وقد حضر ممثلا للجامعة العربية ، كما أشار اليه أيضا فى كتابه « معالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها » وقد حاول أمين فكرى فى دراسته هذه بنجاح أن يفند زعم القائلين بأن اللهجات العامية أصبحت لغات مستقلة فى ذاتها بعيدة من العربية الفصحى الاصيلة ، وأنها أصبحت كافية ووافية ، وأن الاصرار على استعمال الفصحى فى العلوم والدراسات كان عاملا فى تأخر نهضة البلاد العربية لعجز هذه اللغة عن الوفاء بحاجة العلوم والمواد من مصطلحات وعبارات ، وقد أثبت مبلغ قرب الفصحى من آذان العرب وقلوبهم ، وأنها وحدها مفهومة وواضحة الدلالة للعربى أينما استقر سواء كان فى أقصى المغرب أو فى أدنى الارض ، أما العامية — وهى متغيرة وغير ثابتة — فليست مفهومة ولا يتـأتى استخدامها فى كل مكان ، واستشهد على ذلك بالامثلة ، كالعبارات المختلفة المقابلة للعبارة الفصيحة « كيف حالك ؟ » فى مختلف البلاد العربية ، وشرح كيف أن العبارة العامية مفهومة حيث تستعمل فحسب لا خارج البلد الذى تستعمل العبارة فيه ، بينما اذا استعملت العبارة الفصيحة كنت مفهوما أينما كنت ، وساق أمثلة أخرى مماثلة ، أما الزعم بأن هنالك صعوبات فى استخدام الفصحى وحدها فى العلوم والفنون والكتابة فرد عليه بأن هنالك صعوبات أشد وأقسى اذا نحن حاولنا استخدام العامية فى ذلك ، ثم خلص من ذلك كله بأن اللغة العربية الفصيحة هى السبيل لتقدم العرب فى جميع أحوالهم .

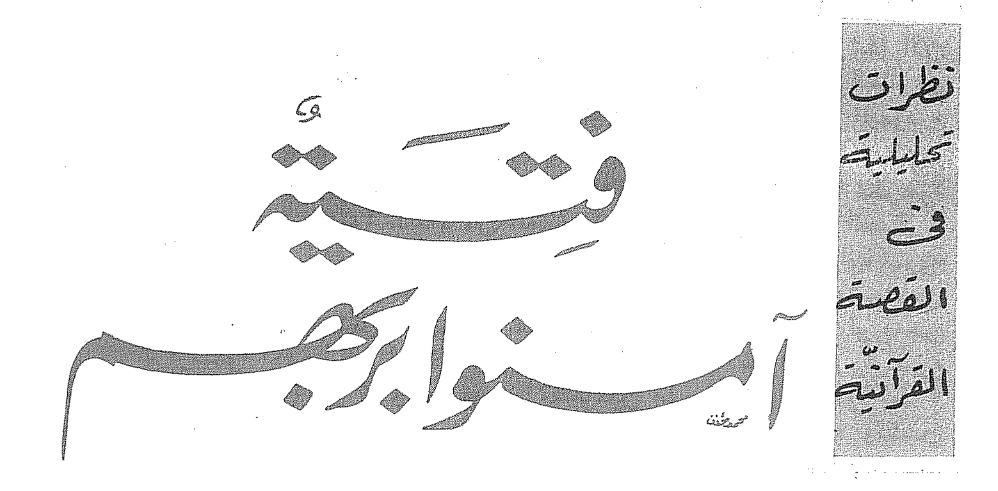
ونختم الحديث بسياق قول المرحوم حفنى بك ناصف فى رثاء صديقه الشيخ حمزة فتح الله مشيرا الى رحلاته للاشتراك فى مؤتمـر المستشرقين وكان الشيخ حمزة يحتفظ بزيه الشرقى غير المألوف فى بلاد أوربا فكان يثير بجلاله وهيبته اعجاب الناس فكانوا يبادرون الى تصويره ويستفسرون عنه يحسبونه أميرا جاء من الشرق ، فقال حفنى بك ناصف فى ذلك :

سـعى من الشرق يبغى خير مؤتمـر
فى الغـرب محتقبـا ما شـاء من أهب

كم فى « فينـا » وفى « استكهلم » صوره
مصـور القـوم عن بعـد وعن كثب

وكم أحاط بنـا جمع يسـائلنا
من كل منجـذب فى اثـر منجـذب

مليـك أى بـلاد ذاك ؟ قلت لهـم
هـذا الامـام مليـك العـلم والادب



الأستاذ محمد المجذوب
المدرس في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

روى الامامان أحمد ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث عن قتادة قوله صلى الله عليه وسلم (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وعن أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين » . وهناك أحاديث عدة في الموضوع ، وان لم تبلغ درجة الصحيح ، فهي مع ما صح من الأخبار تشد النظر بقوة الى أهمية هذه السورة ، وبالتالي تدفع المفكر الى التأمل طويلا في طواياها ، ليستطيع الجواب على هذه الأسئلة : لماذا خصت سورة الكهف بهذا الفضل ؟ .. لماذا كان لها هذا الأثر في عصمة المؤمن من أكبر الفتن ؟ .. ما السر في صيانتها للمؤمن من ظلمة الزيغ ما بين الجمعتين .. لماذا ؟ .. ولماذا ؟ ..

بهذه الحوافز وجدتني مدفوعا الى تلاوة السورة بروح جديدة ، وعلى صورة أكثر دقة مما ألفت ، كالذي يقع على مخطط يحدد مكانا لكنز عظيم ، فيمضي مع اشارته حتى يصل الى طلبته !.. وهاأنذا أعرض لأذن السامع ، وعين القارىء بعض ما وفقني الله اليه من هذا الخير ، الذي أرجو أن يساعدهما على أن يستكشفاه بنفسيهما ، ليقرءا ما يقرآن وهما على نور من ذلك النور ، الذي وصفه منزله الحكيم بقوله الكريم : « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور .. »

وطبيعي أن أقتصر من السورة على الجانب القصصي ، انسجاما مع موضوع الأحاديث ، ففيه ما يكفي لاثارة شهوة المعرفة في نفس القارىء والسامع فلا يكتفيان مختارين بما اكتفيت به مضطرا ، بل يكون ذلك حافزا لهما على تتبع الجوانب الأخرى حتى يظفرا بالحظ الوفير من ذلك الكنز الالهي الكبير .

لقد ساق الله تبارك وتعالى في سورة الكهف عددا من الأمثال والقصص متفاوتة الحجم ، ولكل منها مغزاه المثير ، وايحاؤه البعيد ..

فهناك قصة أصحاب الكهف التي بها سميت السورة ، ثم قصة صاحب الجنتين ، ثم قصة موسى والخضر ، وأخيرا قصة ذي القرنين .. ونبدأ الآن بأولى هذه الأربع ، فهي تبدأ من الآية الثامنة وتستمر حتى السادسة والعشرين وهي أحد الأجوبة الثلاثة على الآسئلة التي جاء بها كفار قريش عن أحبار اليهود ، ليمتحنوا بها — في زعمهم — صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وخلاصة القصة أن فتيانا من المؤمنين قد هداهم الله الى الحق ، فخرجوا على شرك قومهم ، ثم هربوا بدينهم من الفتنة فلجأوا الى غار في أحد الجبال ، وهناك ألقى الله عليهم وعلى كلبهم معهم النوم لعدة ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية ولما شاء سبحانه وتعالى أن يظهر أمرهم ردهم الى اليقظة ، فجعلوا يتساءلون بينهم عن الزمن الذي استغرقه نومهم ، فلم يزيدوا في تقديره عن يوم أو بعض يوم .. ثم أرسلوا أحدهم الى المدينة ليأتيهم بطعام يسدون به جوعهم ، وأوصوه بالتخفي والتلطف حذرا من أن يطلع قومهم المشركون على أمرهم فيوقعوا بهم ، أو يكرهوهم على العودة الى ملتهم التي أنقذهم الله من ظلماتها .. ولكن سرعان ما تنبه الناس الى أمرهم ، وبذلك تتم العبرة التي شاءها الله من هذه الأعجوبة ، وهى توكيد وعد الله بامكان البعث بعد الموت ، ليستعد عباده لأداء الحساب على ما كسبت أيديهم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم .. ثم تنتهي القصة بموت الفتية واقامة مسجد على قبورهم ..

ولكي نلم بموحيات القصة يحسن بنا أن نرجع الى بعض التفاصيل التي أوردها ثقات المفسرين ، فقد أجمع العديد من مفسري السلف والخلف على أن هؤلاء الفتية كانوا من علية القوم جاها ونفوذا ، وقد امتازوا كما يفهم من سياق القصة بشيء غير قليل من النباهة والثقافة ، والتطلع الى الحق ، مما أفضى بهم الى التحرر من ضلالات الشرك ، الذى وجدوا عليه قومهم .. وهكذا جمعتهم وحدة الاتجاه فاتخذوا لأنفسهم مكانا يعبدون اللهفيه سرا ، ولكن أمرهم لم يلبث أن انكشف ، ووصل الى الملك الغاشم فاستقدمهم واستجوبهم ، وحاول جاهدا ثنيهم عن طريقتهم المثلى ، ولما يئس من استجابتهم خلع عنهم حلاهم وجردهم من مراتبهم ، ثم أعطاهم مهلة يراجعون خلالها عقولهم ، فاما أن يثوبوا الى دينه ، أو يستقبلوا الموت جزاء على تمردهم ! .. وفي هذه الأثناء وجدوا فرصة للفرار من الفتنة ، فلجأوا الى ذلك الكهف الذي شهد بقية أحداثهم ! ..

وسنتمتع أثناء تلاوة القصة الالهية بصور تتجاوز حدود الروعة فى عرض رعاية الله للفتية ، وموضعهم من الكهف ، وحالة كلبهم ومكانه ، وترتيب انسياب الأشعة الى مهجعهم .

لقد شاءت حكمة الله أن يكون باب الكهف من نحو الشمال ، ليتاح للشمس أن تمدهم من ضوئها وحرارتها بالقدر الضروري ، للحفاظ على عملية الحياة فى أجسامهم ، وذلك قبيل الزوال وبعده ، ولو انحرف الباب الى أى اتجاه آخر لاختل التوازن ، ولاستحال بالتالي استمرار الحياة : (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) .

وأحكم وضع أجفانهم على نحو يساعد على مرور الهواء على الأحداق ، فلا تتعرض للبلى .. (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ..) وحماهم من التآكل بتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .. فمنع بذلك الأرض من اتلاف أجسامهم .. وقد أفرغ عليهم فى هذا الوضع ستارا من المهابة يحول بينهم وبين اقتحام الناس لمضجعهم ، فلا يدنو أحد منه الا ولى فرارا وملىء رعبا !. ولعل في وضع كلبهم ، وهو باسط ذراعيه في مدخل الكهف ما ضاعف هذه المهابة قوة وايحاء ..

والى جانب هذه الصورة التجسيمية صور أخرى نفسية تبرز الأغوار البعيدة من صدور هؤلاء الفتية ، فترى تصميمهم الصارم على التشبث بالحق ، وتحمل كل تبعة في سبيله (ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها ..) ونسمع تحديهم لضلالات الخصوم : (.. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة .. لولا يأتون عليهم بسلطان بين ..! فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) !! ونلمس ايثارهم ظلمة الكهف مع نور الحق على متاع الدنيا ورفاهيتها مع حلكة الباطل ، .. ولكنه ايثار مشحون بالثقة في رعاية الله ونصرته : (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيء لكم من أمركم مرفقا ..)

وتشدنا العبر من هنا وهناك فاذا نحن أمام طائفة من التوجيهات الربانية لا غناء للقلب المتفتح للحق عن أي منها .. فهناك التذكير بأن الحياة في حقيقتها البعيدة ليست سوى مرحلة ابتلاء ، فلا ينبغي لزينتها الزائلة أن تصرف العقلاء عن التفكير والتدبير لما وراءها من حياة هي دار القرار : (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا .. وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) .

ثم هناك العبرة التى تربط القلب بحقيقة البعث ، وهى القضية التى عجزت عن تخيلها العقول ، ويتوقف على الايمان بها سلوك الانسان بأجمعه في هذه الدنيا ، ونوع مصيره فيما بعدها .. تتجلى للقارىء في القصة كيانا ماثلا يجمع بين الروح والجسد ، وفي صورة من الحياة لا تستعصي على قدرة الله عز وجل .. وبذلك يجد القارىء المتدبر نفسه مدفوعا بكل ما وسعه من جهد الى تدارك أمره ، بالعمل الذى من شأنه أن يساعد على تحسين مصيره الآخر .. وبالاضافة الى هذا كله نتعلم من توجيهات القصة كيف نقتصد في قوانا الفكرية ، فلا نبددها في ظنون لا طائل من ورائها كما يفعل أولئك الذين يتجادلون في عدد أهل الكهف ، وفي أسمائهم ، وفي اسم كلبهم !. وما الى ذلك مما لا يعلمه الا الله ، ولا حصيلة له سوى اضاعة الوقت والانشغال بالجدل الفارغ عن عبرة الحديث وموحياته .. (قل ربي أعلم بعدتهم .. ما يعلمهم الا قليل .. فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا .. ولا تستفت فيهم منهم أحدا ..) .

وللتعبير القرآني المعجز في هذه القصة نماذج فائقة التأثير ، نتعلم منها كثيرا من الأسرار التي أودعها الله الكلمة القرآنية ، فنتدرب خلال ذلك على سننه في استعمال اللفظ كرمز تصويري لابراز المعاني البعيدة ..

أنعم (١) النظر في قوله تعالى : (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ..) ثم اسأل قلبك وعقلك : لماذا استعمل الضرب هنا مكان الانامة !.. انه يريد اخبارنا بأنه حكم في فتيان الكهف سلطان النوم ، فقطعهم به عما حولهم من الأحياء والأشياء .. ولكنه بدلا من الاداء المباشر عمد الى الكناية ، فأرانا سدا مبنيا من السنين .. قد شيد حول آذانهم فحال بينهم وبين ما وراءه !.. ثم زاد على ذلك تحديد السنين ، فهي ذات عدد معين ، قدره بحكمته ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي ، وتزيد تسعا بالحساب الهلالي ..

---

(١) أنعم النظر في الأمر : حقق النظر فيه وبالغ ، وانعم فيه : بالغ وجود ، وأمعن في الأمر بالغ وأبعد في الاستقصاء ، فيكون أنعم في الأمر كأمعن فيه ، أما اذا عديت أنعم الى النظر مباشرة ففيه امتياز لا يتوفر في الآخرين .

ثم اصغ الى قوله الآخر : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها .. » فهل سألت نفسك قبل اليوم : كيف حدث هذا الربط ؟ ولماذا نفى الفعل بلن بدل لا !. وما الصلة بين الربط ولن هذه ..؟

ولكي تدنو من مدلول التعبير الالهي هنا تصور وعاء تربط فوهته ، فتحفظ ما فيه من النقص ، وتصون مضمونه من الاختلاط بأي شيء من خارجه .. هكذا حفظ الله للفتية ايمانهم الخالص ، فصانه من الضعف ، وأبعد عنه الشوائب التي من شأنها أن تشوه جمال التوحيد ! .. ومن هنا كان النفي بلن كحكم قاطع بتأييد هذه العزيمة ، عزيمة التحرر من كل آثار الشرك .. وهي دلالة لا تقوم بأي حرف من أحرف النفي الأخرى .. ولزيادة الايضاح تصور أنك دعيت لمواجهة أحد الناس فقلت : (لا اذهب) فهل يعني ذلك اكثر من انك ترفض الذهاب حال الكلام ؟.. اما حين تقول (لن أذهب) فانك تؤكد تصميمك على الرفض البات أبدا ..

والآن اقرأ معي هذا التعبير القرآني العجيب : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا .. » . فهنا اطار واحد ضم عددا من الصور في تقسيم لا احكام كاحكامه ، صورة رجال يجمعون هيئة اليقظة وحقيقة النوم ، ثم صورة تقليبهم من شمال الى يمين ، ثم من يمين الى شمال ، ثم صورة كلب مفترش مدخل الغار ، كأنه يراقب حركة الخارج ، فهو يتأهب للقيام بمهمته الدفاعية عند الحاجة !

وأخيرا نظرة شاملة الى الاطار وقد تحدد في ذهنك مضمونه بجميع تفاصيله .. فماذا ترى ؟ .. وماذا تحس ؟ .. المهابة التي تملؤك بالرعب وليس بعد الرعب الا الفرار !.

وهناك طائفة من اللمحات ذات الأغوار البعيدة ، لا ينبغي أن يفوتنا ملاحظة بعضها عن كثب .

لقد شاء الله جل شأنه أن يرد الفتية الى اليقظة فأول ما خطر في بالهم أن يعرفوا حدود الزمن الذي قضوه في تلك الغفوة ، وهكذا انطلق أحدهم يسأل : كم لبثتم ؟ .

انه يسأل نفسه ويسأل رفاقه عن المدة المقضية .. فيأتيه الجواب من الجميع ولعله هو أحدهم : « لبثنا يوما أو بعض يوم .. » .

لقد اختلط في أذهانهم حساب الزمن ، فهم لا يستطيعون له تحديدا ولكنهم على أي حال لا يتصورونه فوق اليوم !..

وهذا يذكرنا بقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) .. وقوله الآخر : « كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار .. » .

والجامع بين هذه الأجوبة كلها هو الشعور بقصر الحياة ، وضيق المساحة بين مبادئها ونهاياتها .. وهو شعور طبيعي يتأتى من الانفصام بين الادراك ومجرى الاحداث ، فاذا عاد النائم أو الميت الى الوعي اقترنت في ذهنه لحظتا اليقظة فوق فجوة الزمن ، فخيل اليه أن الوقت المنقضي بين اللحظتين دون حقيقته بكثير ! .. وهو تصور لا يقتصر على ما بين اليقظتين فحسب ، بل ينسحب أيضا على تقويم زمن الحياة الأولى كله .. ذلك لأننا في العادة نتلقى أحداث حياتنا شيئا بعد شيء ، فنزنها بحركة الأحداث ، وبذلك نستشعر طولها وثقلها ، ولكننا عندما نعيد النظر في حصيلتها جميعا يتضاءل ذلك الامتداد ،

ويصبح في ادراكنا شيئا صغيرا .. تماما كما يحدث للناظر الى عداد الماء او الكهرباء وهو يتحرك تحت جريان التيار ، فيحس بطأه ، وامتداد زمنه ، ولكن هذا البطء وذلك الامتداد سرعان ما يزولان عندما ينتهي المؤشر الى غايته ، اذ نرى حصيلة الحركة مجموعة كلها تحت أعيننا !.. ذلك هو التعليل النفسي لتفاوت الشعور بقيمة الزمن .. ولكن ثمة نتيجة روحية عليها يتوقف مفهوم التعبير القرآني في هذا المضمار ، فاذا كان زمن الحياة وما يعقبها مما يسبق يوم البعث ، لا يتجاوز في ادراكنا مقدار الساعة ، التي يراد بها الجزء الصغير من الزمن دون تحديد بعدد الدقائق ، اذن فمن الاسراف بل من الجنون أن نضيعها في الغفلة والمعصية والبعد عن سبيل الله ! ..

ومن خلال هذا التصور نطل على مضمون التعقيب الذي يرسله أولئك الفتية اثر تساؤلهم عن مدة اللبث ، اذ (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) فكأنهم لاحظوا بعض التغييرات التي طرأت على ما حولهم ، فداخلتهم الحيرة من واقعهم ، واستيقنوا العجز عن تحديد الزمن المسئول عنه ، فانصرفوا عن محاولة التحديد الى التسليم ، ففوضوا العلم بهذا المجهول الى الله .. وانتقلوا فجأة الى تدبير أمر الطعام الذي يعوزهم ، والطريقة التي يجب أن يسلكها طالبه للحفاظ على سلامتهم .. بل سلامة دينهم . فان مجرد العلم بأمرهم يعرضهم للموت رجما ، أو للعودة الى ما سبق عهد الهدى من ظلمات الكفر .. وانها لعودة لا فلاح معها أبدا ..

وقبل الخاتمة نقرأ هذا الارشاد الرباني يؤدب به الله نبيه صلوات الله عليه : (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله ..) .

فقد حدث أن رسول الله عندما سمع أسئلة الكفار التي حملوها من يهود المدينة ، قال : (أخبركم غدا عما سألتم عنه ..) ولم يستثن ! .. وكانت هذه عجلة منه ، اذ كان عليه أن يذكر أن الأمر لله ، وليس لأحد أن يحدد عليه موعدا .. ولما أبطأ الوحي بالجواب ، وأرجف الكفار ما أرجفوا ضاق صدر الرسول واشتد حزنه ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرج المنشود وفيه معاتبة الله اياه ، والتوجيه الذي يصونه من مثل تلك العجلة في المستقبل .. فعليه أن يربط كل أمر بمشيئة الله ، التي لا يمكن لشيء أن يتجاوزها أبدا .. وان يعالج النسيان بذكر الله الذي بيده وحده أمر الهداية !.

وفي النهاية ما أراني بحاجة لأن أذكر المؤمن بروعة ذلك النظم العجيب ، الذي سلسلت فيه المعاني في تساوق فائق ، فكانت كالحركة والحرارة والطاقة ، تنطلق من المادة الواحدة ، فما تدرى أيها صاحب الأثر الأول !.

ان هناك الترتيب الذي يسميه البديعيون تقسيما ، والتضاد الذي يدعونه طباقا ، والتآلف المعنوى الذى يطلقون عليه مراعاة النظير . ثم الجرس الذي يتلاحق في توقيع لا يستطيع القارىء تشويشه ، فيساعد على تثبيت الصورة العامة للمضمون في أعماق القلب ، وأغوار الذهن ، تثبيتا يخطفه من واقعه الشخصي الى واقع الفتيان النائمين في جوف الكهف !.

ولا عجب في هذا وذاك .. انه القرآن .. وانها قصصه التي لا نجد لها وصفا أوفى بها من قول منزلها : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ..) .

وليغفر الله لأبى العلاء الذي هزه من كتاب الله هذا الذي يهزنا ، فجعل يمرغ وجهه فى التراب وهو يقول فى غمرة الدموع وغصة الخشوع :

(سبحان من هذا كلامه .. سبحان من هذا كلامه) .



هنا وهناك

الذكرى والبيت الحزين :

كانت ذكرى الاسراء والمعراج فى السنين الماضية تثير فينا آلاما وأوجاعا لوجود اليهود أعداء الله على مقربة من المسجد الاقصى ومسجد الصخرة حيث انتهى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وابتدأ معراجه الى السماء ..

ويدخل علينا شهر رجب هذا العام ويقترب منا موعد الذكرى . وقد وضع أعداء الله يدهم على المسجد والصخرة !! وضاعت من يدنا أولى القبلتين وثالث الحرمين .. وبدأ اليهود يخططون لاعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى !!

ويصدر علماء الضفة الغربية بيانا مدعما بالادلة بحق المسلمين فى كل شبر من هذه الاماكن المقدسة ويتجاوب معهم فى بيانهم علماء الضفة الشرقية ، وبقية العلماء فى الاقطار المختلفة ، ولكن ما قيمة الادلة بدون قوة تسندها ؟ انني أتهيب تلك الليلة ليلة ذكرى الاسراء .. ولا أدرى كيف أتحمل ذكراها المريرة هـذه السنة وكيف يتحمل المسلمون فى كل قطر وأرض أن يتذكروا مسرى الرسول ، واليهود يجثمون على الارض التى باركها الله ويدنسونها بآثامهم . نعم انها فترة تمر بالمسلمين ليس هناك ما هو أقسى منها واذا كانت الارض العربيـة التى استولى عليها أعداء الله ملكا لأصحابها من الدول العربية . فالمسجد الاقصى للمسلمين جميعا . لخمسمائة أو ستمائة مليون مسـلم . من أماكنهم الثلاثة المقدسة . اذا مر استيلاء اليهود عليه سهلا على نفوس المسلمين ، يقـابلونه

بالسكوت والاستسلام ، فان أعداء الله يستمرئون هذا السكوت ، ويشجعهم على أن يكملوا خطتهم التوسعية ، حتى يصلوا الى المدينة . وهم فى حربهم هذه لم ينسوا أسلافهم الخونة فى المدينة الذين أخرجهم الرسول منها لخيانتهم وغدرهم .

وقال قائلهم يوم استولى على بيت المقدس : الآن انتقمنا لأسلافنا فى خيبر — فهم يذكرون خيبر وما قبلها ، ويتطلعون الى الارض التى كانت لأسلافهم ، ويرسمونها على خريطتهم التوسعية ، ودولتهم المرتقبة ..

وليس لأحد من المسلمين أن يستهين بهذا الكلام ، ويراه أمرا خياليا بعيدا . انهم رسموا لوطنهم القومى فى فلسطين وخططوا له من مائة سنة وأكثر .. وظلوا يعملون لتنفيذ مخططهم ، حتى تم لهم التركز فى الارض المسلوبة وبدءوا يتوسعون ..

فاين المسلمون الذين يغارون على أماكنهم المقدسة ؟! كيف ينامون ويعيشون ، ويحلو لهم العيش وقد سقط أحد الاماكن الثلاثة المقدسة فى أيدى أعداء الله ؟! هل يمر عليهم شهر رجب وليلة الاسراء والمعراج كما مرت الشهور والليالى السابقة ؟

الا انها الكارثة ، تحل بنفوس المسلمين . فلا يتحرك لهم قلب ازاء ما نزل بمسرى رسولهم عليه الصلاة والسلام .. ألا انه الموت الحقيقى يصيب مئات الملايين من المسلمين .. ان بيت المقدس ليس ملكا للأردن ولا للعرب ، ولكنه أولى القبلتين ، ومحل تقديس المسلمين جميعا فماذا فعلوا وقد ضاع من أيديهم ؟ وماذا سيفعلون فى تلك الليلة التى تثير الشجون ؟

انها موعد يجب أن يلتقى عليه المسلمون جميعا فى كل مكان من الارض ليعلنوها مدوية فى العالم ، ولدى كل من ساعد هؤلاء على فجورهم وعبثهم . ان المسلمين لن يسكتوا على مكانهم المقدس يعبث به أعداء الله ، ليعلنوها مقدمة لحرب دينية يشترك فيها كل مؤمن بالله ورسوله .. ويؤذنوا العالم كله بهذه الحرب .. ويضعوا امكانياتهم فى سبيل تخليص قبلتهم الاولى وتحريرها من أيدى اليهود ..

رباه .. نتقدم نحن أم نتأخر ؟ نقوى أم نضعف ؟ كنا بالماضى نغضب لأن اليهود ينجسون بيت المقدس بجوارهم له .. والآن ينجسونه فعلا بأحذيتهم ، وعبثهم فيه ، وسيطرتهم عليه ، ويشرعون فى هدمه .
ألا انه العار الذى نتحمله نحن المعاصرين لهذا الحدث أمام الاجيال المقبلة ..

ماذا سيقوله التاريخ عنا ، وتصبه هذه الاجيال علينا من لعنات اذا نحن لم ننهض لمحو هذا العار ؟!

اللهم لطفك وعونك .

كلمــة أخيرة :

جاءتنا عدة تعليقات على ما نشر حول ((اعجاز القرآن هل هو معجز لذاته أو بالصرفة)) ورأى الامام الرازى فى هذا الموضوع ، وكنا قد نشرنا بحثا للأستاذ على محمد حسن فى العدد الخامس والعشرين ثم نشرنا بحثا واسعا للأستاذ أحمد محمد الغمراوى فى العدد التاسع والعشرين . وقد رأيت من التعليقات أنها تفتح بابا واسعا للجدل والموضوع فى ذاته منته منه قديما ، والنقاش الآن يدور حول رأى الامام الرازى فقط .. ولذا رأيت أن أنهى الموضوع بكلمة لعلها تريح الجميع ..

ان الذى يبدو من كلام الامام الرازى ــ كما أشار الاستاذ على حسن فى مقاله ــ أنه حين اختار لم يختر مذهبا ، ولكنه اختار طريقة الاستدلال ليفحم الذين يجادلون فى اعجاز القرآن وينكرونه .. فسلك كل دليل يؤدى فى نهايته الى أن القرآن معجز .. سواء أكان اعجازه لذاته أو بالصرفة ..

ويبدو هذا واضحا من قول الامام الرازى وهو يبحث هذا الموضوع ويناقش المنكرين للاعجاز ، فلهذا اخترنا الطريق الثانى (أى فى الاستدلال) وقلنا : ان بلغت هذه السورة فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود ، وان لم يكن كذلك كان امتناعهم عن المعارضة من شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا))

فواضح من قوله ((اخترنا الطريق الثانى وقلنا)) : ((ان اختياره ينصب على طريقة الاستدلال ، وهى الطريقة التى تلزم الخصم فى نهايتها ، سواء أقر بأن القرآن معجز فى ذاته أو لم يقر بذلك مع اعترافه بعجز العرب عن معارضته فى نهاية الامر بحجة أن الله صرفهم عنه .. اذ لو لم يكن من عند الله لما تدخلت قدرة الله وحالت بينهم وبين الاتيان بمثله ، والنتيجة فى الحالين واحدة . وهى أن القرآن من عند الله . وهو الذى أراد القرآن اثباته فى صريح قوله ((فان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)) وهو ما شغل الامام الرازى بمناقشته مناقشة عقلية ليصل فى النهاية الى افحام الخصوم كما قلنا . وهذا لايتبين منه رأى الرازى صريحا. بل قد يبدو من الظاهر أنه لا مانع عنده من جواز الامرين لو أمكن هذا ..

ولذلك كان لا بد لنا اذا أردنا معرفة رأى الرازى الذى اختاره وتمسك به أن نرجع الى كتبه والى مواضع أخرى غير جو هذه المناقشة العقلية الجدلية .

ولو رجعنا الى ما ذكر فى المقال الاول لوجدنا الاستاذ الكاتب قد نقل عن كتاب ((نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز)) للرازى ما يدل على أنه يعتقــد أن القرآن معجز بذاته . وبذلك ينتهى الموضوع الى أن الرازى لم يقل بالصرفة كمذهب يختاره ، ويقر الاستاذ الكبير أحمد الغمراوى عينا بتبرئة ساحة الامام من هــذا القول .. دون حاجة الى توسيع النقاش حول هــذا الموضوع لننصرف الى غيره .. والله الموفق .

عبد الله بن رواحة

نعم الرجل ابن رواحة (رسول [illegible] ..)

للأستاذ سامي مكي العاني
مدرس الأدب بكلية الشريعة ــ جامعة بغداد

شعر وزهد وجهاد

سكن يثرب في الأزمان الغابرة من التاريخ قوم يقال لهم (العمالقة) ثم نزل عليهم اليهود بعد أن نزحوا من الشام وما جاورها لأسباب دينية وسياسية فغلبوا العمالقة على أمرهم وصاروا سادة يثرب ، الى أن حدث سيل العرم في اليمن وتفرقت قبائلها فنزل على اليهود قوم نازحون من القحطانيين هم الأوس والخزرج .

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن استطاعوا أن ينتزعوا المال والسلطان من أيدي اليهود ، ولكن اليهود لم ييأسوا من استرجاع سلطانهم ، فعملوا ما وسعهم على الوقيعة بين الأوس والخزرج ، فعاشت يثرب في حرب دائمة ، ونزاع مستمر ، وسميت هذه الحروب بأيام الأوس والخزرج . منها يوم « سمير » وكان هذا أول يوم وقع بين الأوس والخزرج ، ويوم ربيع وفارع ، وآخر هذه الأيام هو يوم (بعاث) . وقد ساهم الشعراء في تلك الحروب بألسنتهم الى جانب سيوفهم ، فلمعت أسماء شعراء مع كل يوم من تلك الأيام .

شاعر الخزرج

وكان عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي ممن اشتهر بشعره في تلك الحروب ، فقد كان اللسان المعبر مع حسان بن ثابت عن الخزرج ، وأسهم في الدفاع عن قبيلته بما أوتي من بيان كأحسن ما يسهم شاعر . وهو القائل يوم بعاث محييا قيس ابن الخطيم الأوسي :

نحامي على أحسابنا بتلادنا
لمفتقر أو سائل الحق واجب

ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
مشينا له مشي الجمال المصاعب

برجل ترى الماذي(1) فوق جلودهم
وبيضا نقياً مثل لون الكواكب

وهم حسر لا في الدروع تخالهم
اسوداً متى تنشا الرماح تضارب

معاقلهم في كل يوم كريهة
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

(1) الماذي : واحدته الماذيّة وهي : الدرع اللّيّنة ــ المعجم الوسيط .

اسلامه

وعندما وُصلت أنوار الاسلام الى المدينة كان عبد الله بن رواحة في طليعة من تفتحت قلوبهم لنوره ، واستنارت عقولهم بهديه ، فاستجاب لنداء الاسلام ، وآمن بدعوته ، ثم توجه مع سبعين من قومه الى العقبة حيث واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة . وللمكانة التي كان يتمتع بها ابن رواحة في قومه اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون نقيبا على من معه من المؤمنين في تلك البيعة ، وحين بدأ الصراع المسلح بين الاسلام والكفر ، كان ابن رواحة من أوائل الذين سلوا سيوفهم للدفاع عن دينهم الذي آمنوا به ، فساهم في جميع معارك الاسلام الأولى ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها الا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا .

قال يحيى بن سعيد : كان عبد الله ابن رواحة أول خارج الى الغزو وآخر قافل . وكان في جميع حروبه بطلا مقداما ، لا يهاب الموت ، ولا يخشى السيوف المشرعة ، فحين دعا المشرك « عتبة » من يبارزه في بدر ، وتردد كثير من المسلمين ، برز له ابن رواحة من بين الصفوف . وعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشجاعة فانتدبه لقتل عدو الله اللعين « أسير بن رازم اليهودي » الذي أمد أهل خيبر بعد مقتل سيدهم « ابن أبي الحقيق » فقد دعا هذا اليهودي وجمع غطفان ومن والاهم من المشركين لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليه ابن رواحة في ثلاثين راكبا وتمكن من قتله والقضاء عليه .

وفي غزوة مؤته أمَّره الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، فحمل اللواء وظل مدافعا عنه حتى استشهد دونه فى السنة الثامنة فى أرض الشام .

وقد خاطب نفسه يوم مؤتة بأبيات تنم عن ثبات جنانه ، ومغالبته لهوى نفسه عندما حاولت التردد فى أول الأمر :

اقسمت يا نفس لتنزلنَّه
طائعة أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنَّة (١)
ما لي أراك تكرهين الجنه
وطالما قد كنت مطمئنه
هل أنت الا نطفة فى شنه (٢)

وقال أيضا :

هل أنت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت
يا نفس الا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت
ان تفعلي فعلهما هديت
وان تأخرت فقد شقيت

يريد صاحبيه اللذين قتلا مدافعين عن لواء المسلمين في مؤتة ، وهما : زيد وجعفر .

أما شاعريته فقد روى هشام ابن عروة عن أبيه قال: سمعت أبي يقول: ما سمعت أحدا أجرأ ، ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة .

وقد سبق الى تعريف الشعر حين سأله الرسول : ما الشعر قال : شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعرا . قال : فهل تستطيع أن تقول شيئا الآن ؟ فنظر فى وجه رسول الله فقال نعم :

انى توسمت فيك الخير نافلة
والله يعلم انى ثابت البصر
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

---

(١) الرنَّة : الصيحة الشديدة .

(٢)جاء فى المعجم الوسيط : والشن القربة الخلق الصغيرة .

يا آل هاشم ان الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير
ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فخبروني أثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر
نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا
حي من الناس ان عزوا وان كثروا

وحين قال : يثبت الله .. البيت . قال له النبي : واياك ياسيد الشعراء، ولما قال : فخبروني أثمان العباء . عرف في وجه رسول الله الكراهة ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال عبد الله : نجالد الناس .. البيت .

وكان رسول الله يستمع الى شعره وهو ينشد ، ويرتاح الى ذلك ، فحين دخل الرسول مكة ليطوف بالبيت كان ابن رواحة بين يديه آخذا بزمام ناقته وهو ينشد :

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
يا رب اني مؤمن بقيله

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن رواحة أفي حرم الله . وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر ؟ فقال الرسول خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

وكثيرا ما كان رسول الله يردد شعره ، ويأنس بانشاده ، بل يستعين به على العمل . روى عن البراء رضي الله عنه أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

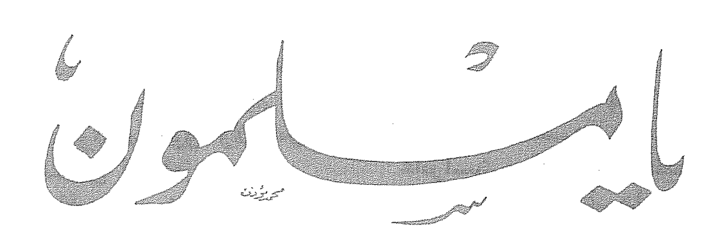
تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنة أبينا

وروي أن عبد الله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله : اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت . يعني : الشهادة والجنة . ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقول الرفث فقال : ان أخا لكم لا يقول الرفث يعني ابن رواحة لقوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
واعلم علما ليس بالظن أنني
الى الله محشور هناك وراجع

وأجمع المؤرخون على أن ابن رواحة كان واحدا من ثلاثة شعراء وقفوا الى جانب الاسلام في حربه مع قريش وهم : حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان عبد الله يعير قريشا بالكفر وينسبهم اليه ، في حين كان حسان وكعب يتحدثان في هجائهما عن الوقائع الحربية ، وهزيمة قريش فيها ، ويعيرانها الجبن والضعف ونحوهما من المثالب . فكانت قريش لا تهتم لقول ابن رواحة اهتمامها بقول حسان وكعب حتى أسلموا فصاروا يتألمون لقول ابن رواحة ، وهذا ما يعلل لنا قلة شعره وكثرة شعر صاحبيه في كتب التأريخ والآداب . فقد نهى رسول الله وخلفاؤه عن رواية الشعر الذى يذكر كفر قريش بعد أن أسلمت ، ابقاء على مودتها ، وتأليفا لقلوب

(البقية ص ٧١)



للأستاذ : أحمد محمد الصديق

جامعة أم درمان الاسلامية

حق الجهاد .. فليس عنه خيار   وغلت مراجل مالهن قرار

خيل المنايا أسرجت .. فتأهبي   حطين .. ان رحاك سوف تدار

فالحرب أشفي للنفوس اذا اشتكى   فيها من الغيظ الحبيس اوار

واذا اهين الحق صاح بأهله   صوت السماء وجندت أقدار

◇ ◇ ◇

يامسلمون .. ومن سواكم للحمى   ان كشرت عن نابها الأخطار ؟ !

يدعوكم الوطن الذبيح ومسجد   أسرى الى ساحاته المختار

يجتر في القيد العذاب مرددا   شكواه : أين الأمة الأخيار ؟ !

أين الذين هم الرجال اذا دعوا   هبوا .. وان دوى النفير أغاروا

أتفرق الشمل الحبيب وأدبرت   عني الوجوه وفارق السمار ؟

وخلا المكان فما به الا رؤى   نكراء تعلن بؤسها ودمار ؟

وخطى جنود البغي تقرع مسمعي   رهباً ، وفيها للدماء سعار ؟ !

خفت الأذان وكمت أصداؤه   وعلى المآذن روعت أطيار

وأحس احساس الغريب اذا نأت   في أحلك الأوقات عنه الدار

لولا التعلق بالرجاء وحبله   لانهد ركن أو لخر جدار

وتصدعت مما تعاني صخرة   وبكى الهلال وزلزلت أسوار

◇ ◇ ◇

يامسجدي .. شكواك تعصف في دمي   وعميق جرحك كاللظى موار

فلتنطقي يا نار .. ولتتفجري   يا أرض .. وليقتحم الأحرار

ولتنبت الأشواك في أجفاننــــا   وجنوبنا حتى يزول العـــار

قسماً سنثأر للدماء فانهـــا   نور على درب الكفــاح ونار

هي في عروق الأرض بركان على   جنباته يتحفز الاعصـــار

الموت مفتاح البقاء . . وفي الوغى   يحلو الفداء وترخص الأعمـــار

هو في سبيل الله أعذب منهــل   من حوله يتزاحـــم الأبرار

الموت أكرم من حيـــاة مرغت   بالذل فيها تستباح ديــــار

ويضيع شعب أو تمزق أمـــة   ويخوض في بحر الشقاء صغـــار

وتشيع ملء الأرض أشباح الردى   ويغيب عن وجه الحياة نهـــار

خطب ألم ومحنة مكتوبـــة   بدمائنا . . زاغت لهـا الابصار

ولعلهـــا تجلو القذى عن أعين   فتخط درباً ليس فيه عثـــار

يا أغنيـــات النصر لن تتعززى   بالحق حتى تصدق الأخبـــار

فلينقشع عنا الضباب فانـــه   دون الحقيقـــة حائل وستار

مابال اشبال العرين ؟ ! الا فتى   ورث الاباء وفارس مغوار ! !

سفر البطولة بالمآثر حافـــل   يعلوه من صنع الجدود الغـــار

شهدت لهم غر الوقائع ما انجلى   الا عن الفتح المجيــــد غبار

تلك النجوم فما لنا لا نهتـــدى   وبكل نجم للخلود منـــار ! !

لايرجع الحق السليب بهيئة ... دولية يلهو بها الدولار

او مجلس نسبوه للأمن الذي ... هو لعبة في شرعهم وقمار

ارعاة ابقار وساسة عالم ... وهل الخلائق كلها ابقار ؟ !

لاتسرفوا يا هؤلاء فحكمكم ... من نسج اوهام غدت تنهار

لاتحسبوا ان الجباه ستنحني ... منا ويملك قهرها استعمار

« الله اكبر » في الحياة نشيدنا ... سيظل يخفق صوتها الهدار

في ظلها يتحقق النصر الذي ... يعلو به للمؤمنين شعار

هل غير ربك ناصر ومؤيد ... ترجى به للعاملين ثمار ؟ !

هي عزة الاسلام سر فلاحنا ... فيها تصان محارم وذمار

هي شعلة الايمان والروح التي ... ابداً لها يتطلع المضمار

فعلام لاتصفو النفوس ويمحى ... صدأ القلوب وتستوى الافكار ؟ !

وتعز بالتوحيد رايتنا التي ... ثوارها حقا هم الثوار

◇ ◇ ◇

ياويح اعداء الحياة اذا انقضى ... اجل ، واوشك أن يحين الثار

ستشف عنهم في الجحور خنادق ... وتشي بهم بين الشقوق حجار

وتدق سحقا بالنعال جماجم ... وتدك فوق رؤوسهم اوكار

سيعود للقدس الحبيبة مجدها ... وتشع ملء رحابها الأنوار

والوعد بالنصر المبين محقق ... للمؤمنين قضى به الجبار

يامسجدي .. ويظل وجهك مشرقا ... وعلى ندائك تخشع الاسحار

رجالها . وطبيعي أن يعمد من أسلم من المهجوين الى طمس معالم الشعر الذى يذكرهم بماضيهم غير المشرف .

وكان شاعرنا الى جانب بطولته في الحرب وبلائه في فن القول من أكبر زهاد المسلمين وعبادهم . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ . وروى أبو الدرداء : لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فى اليوم الحار الشديد ، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة . وكان اذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل . فغضب الرجل فجاء النبي فقال : يا رسول الله ألا ترى أن ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة . فقال الرسول : يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة .

وكان حريصا على تنفيذ أوامر الله صادعا لقرآنه . فقد روي عن مجاهد أن قوله تعالى « لم تقولون ما لا تفعلون » الى قوله « صفا كأنهم بنيان مرصوص » نزل في نفر من الأنصار فيهم عبد الله ابن رواحة قالوا فى مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به حتى نموت . فلما نزلت فيهم هذه الآية قال ابن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيداً .

وكان يتحرى ما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن ما يرضيه يرضي الله . جاء عن السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر يوم الجمعة فقال : اجلسوا . فسمع عبد الله ابن رواحة قول النبي فجلس في مكانه ، خارجا من المسجد ، حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ، فقال له : زادك الله حرصا على طواعية الله ، وطواعية رسوله . وعرف عن شاعرنا تشدده في الحق ، والتزامه بحدود الله ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يزحزحه عن العدل حب صديق أو كره عدو .

فحين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ثم الجأهم الى حصنهم ، بعث ابن رواحة يخرص عليهم تمرهم فكان يأتيهم كل عام فيخرص عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال يا أعداء الله تطعموني السحت ، والله لقد جئتكم من أحب الناس الي وأنتم أبغض الي من عدتكم من القردة والخنازير ، لا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه ألا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

وطالما سالت دموعه غزيرة من خشية الله ، والمشهد الذي يرويه المؤرخون حين سار الى مؤتة أصدق دليل على هذه الخشية وذلك الايمان فقد روى موسى بن عقبة أنه لما خرج الى مؤتة بكى ، فبكى أهله معه . فقال : والله ما أبكي جزعا من الموت ولا صبابة بكم ، ولكن بكيت من قول الله « وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فأيقنت أني واردها ولم أدر : أأنجو منها أو لا ؟.

وفي لفظ أنبأني ربي أني وارد النار ولم ينبئني انى صادر عنها ، فذلك الذي أبكاني .

وروت زوجته عنه أنه كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين ، لا يدع ذلك .

رحم الله ابن رواحة ، فقد كان راهبا في الليل ، فارسا في النهار ، حتى قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : نعم الرجل ابن رواحة .

المواجهة الحضارية

بين التراث الديني وبين القيم المستحدثة

بقلم الأستاذ محمد همام الهاشمي
الخبير الاجتماعي بمجلس التخطيط ـ الكويت

قال قائل تعليقا على موضوع الأيدولوجيات والدين الذي نشر في عدد سابق (١) أن ارنولد توينبي الذى استشهدت برأيه قد وقع فى خطاين وجرك معه الى الوقوع فيهما ..

الخطا الأول انه فى تحليله للأيدولوجيات والدين قد وضعهما فى كفتين متقابلتين من المساواة والتحليل .. ومع أنه قد وجد في الأديان السماوية ما يرجحها فى ميزان سعادة الفرد واطمئنانه وتقدم المجتمع واستقراره ورفاهيته الا ان هذه المقارنة تعتبر افتئاتا على الأديان السماوية والدين الاسلامي على وجه الخصوص ، الذي يعلو ولا شك في المقارنة ـ باعتباره دينا منزلا من الخالق ـ على كل ما يضعه البشر من قيم ، وما يصطنعونه من نظريات تصادم الدين او تحاول أن تحل محله ... ولا يصح أن يوضع بين الخالق في منزلة المقارنة مع نظم المخلوقين .

أما الخطأ الثاني فانه قد خيل لأرنولد توينبي أن الأيدولوجيات تعارض الدين ، وأن الدين على طرف نقيض منها ، مع أن الأديان السماوية والدين الاسلامي على وجه الخصوص ، قد استطاع ببراعة ـ لا تتهيأ للمخلوق ـ أن يوفق بين المتناقضات جميعا ، دون أن يميل الى جانب فيغلبه على باقي الجوانب الأخرى .. فهو يتبنى الجماعية والملكية المشتركة فيما لا بد أن يكون ملكا للجماعة ينال منه كل انسان نصيبا دون ما عائق من ظروف اقتصادية واجتماعية .. وهو ينادي بالفردية المتعاونة حينما تكون الحوافز والتطلعات هي أساس التقدم ومنطلق البناء .. ولقد فعل الاسلام ذلك لا عن رغبة في التلفيق والتوفيق ، ولكن عن بصيرة يستمدها من الخالق الذي خلق الخلق ، ويعرف ما أودعه فيهم من دوافع وغرائز وآمال وأحلام وضعف وقوة ... ودنيوية وروحانية .. فالاسلام كامل شامل يستوعب كل ما أقامه البشر من نظريات واتجاهات وأيدولوجيات هي في حقيقتها اتجاه نحو جانب دون باقي الجوانب الأساسية في حياة الانسان ، ومن ثم فلا تناقض حقيقي بين الدين والأيدولوجيات ..

ثم ان هناك أمرا ثالثا .. لقد

(١) العدد ٢٦

أحسست من مقالك أنك تغلب الرجعية على التقدم .. فهل تريدنا أن نعيش في القرون الوسطى بينما العالم قد انتقل الى عصر الذرة ؟ ونكستنا الأخيرة خير دليل على الدور الذي يلعبه العلم في مصائر الشعوب ؟ !

قلت لمحدثي . أما أن أرنولد توينبي قد ساوى في تحليله بين الأديان والأيدولوجيات ، ثم انتهى من دراسته الى ضرورة عودة البشرية الى الأديان السماوية ، ونبذ الأيدولوجيات التي ستقود العالم الى فنائه وتدميره ، فهذا حق ، وهو في نظري معذور في هذا النهج الذي انتهجه .. فهو عالم يريد أن يتسم بحياد العلماء ، وكلما كان موضوعيا متجردا في تحليله كلما استطاع أن يقنع ... خصوصا في عصر العلم الذي يعتمد على الموضوعية والحياد العلمي .. ومن ثم فان كتابه يعتبر بصيصا من نور يضيء بعض الجوانب في مجتمعات أعماها التقدم العلمي ، والانحياز الأيدولوجي ، والتهافت المادي عن أن تعود الى حظيرة الدين ..

وبقي أنه ذو فضل لأنه أضاء شمعة في جنبات حجرة تكتنفها ظلمات بعضها فوق بعض ... والأخطر من ذلك أن تلك الظلمات تجتذب الى حظيرتها — مجتمعات أخرى كان يضيئها نور الاسلام — فدخلت ظلمات الأيدولوجيات ، ونسيت او تناست ما كانت تعيش فيه من نور وهدى .. ولما كان الفكر هو محرك القوى البشرية فاننا نتحمس لكل فكر يساعد البشرية على أن تتبين طريقها فلا تخبط خبط عشواء في دروب تقودها درجة فدرجة الى نهايتها المحتومة من الضلالة والهلاك .

ومن ثم فان صيحة توينبي في دراسته العلمية قد ترد المجتمعات الى طريق الهداية بعدما كان من فصل بين الدين والدولة .. نتيجة لتاريخ طويل من تجبر الكنيسة التي فرضت الظلام والتخلف باسم الدين فألجأتها الى الأيدولوجيات تستمد منها الالهام .. وكان عصر العلم بعد أن نفضت أوروبا عنها سيطرة الكنيسة ورجالها .. ومن ثم اتجهت الى الأيدولوجيات واستبدلتها بالدين فكرا وقيما ...

أما الأمر الثاني فهو أن توينبي بما له من مكانة علمية مرموقة باعتباره من أكبر العلماء المعاصرين شهرة في تحليل التاريخ والحضارات قد ساعد بنظرياته وآرائه على تكوين جيل من المفكرين ، ومن ثم فهو جدير بأن نقف على رأيه في هذا الموضوع الذي أصبح من أهم ما يشغل عالمنا المعاصر وعالمنا العربي على وجه الخصوص ونحن قوم لا نتحيز في الفكر .. فقد تعلمنا منذ فجر نهضتنا أن لا نعرف الحق بالرجال .. ولكن نعرف الحق فنعرف رجاله .. وان كان توينبي يخالفنا دينا فلا يمنعنا ذلك من أن نتبين وجه الحق في كلامه .. وأن نستشهد به لعلمه وشهرته في قضية أصبحت تشغل حيزا هاما في حياتنا العربية المعاصرة .. فلعل بعض المخدوعين من بني قومنا يقتنعون بالرأي اذ يأتيهم من عالم غربي له مكانته العلمية .. وخصوصا بالنسبة لمثقفينا المولعين بآراء علماء الغرب .. ومن ثم كان الاستشهاد برأيه .. وابراز التحليل الذي اعتمد عليه لينتهي الى ما انتهى اليه ..

الأمر الثالث أن توينبي وهو ينتمي الى الحضارة الغربية الطاغية التي تفرض على العالم نظمها وقيمها بطرق متعددة .. والتي تسعى الى توحيد العالم تحت شعاراتها ومبادئها .. وان كانت قد انقسمت على نفسها بين الأيدولوجيات المتصارعة الا أنه معذور لأنه — بحكم اعتزازه بحضارته — لم يستطع أن يحسن تفهم الدين الاسلامي ليتبين كيف يوفق في روعة خلاقة — تعلو على قدرة البشر — بين مختلف الاتجاهات

الايدولوجية ، وكيف يستوعبها جميعا ويصهرها في بوتقة واحدة على أساس متين من الأخلاق والقيم الفردية والاجتماعية الثابتة التي لا يعتورها التغيير ما بقي الدين أساسا لتكوينهم الفكري ولتعاملهم الاجتماعي . .

ويجب هنا أن نفصل بين الدين وبين معتنقيه ، فالدين الاسلامي في قواعده العامة وأصوله الثابتة يتضمن من القيم والاحكام ما يصلح شأن الفرد والمجتمع ، ولكن من الضروري أن يستخرج معتنقوه من هذه الأصول والمبادىء العامة نظرية في الحياة والمجتمع تستطيع أن تقارع الحجة بالحجة .. نظرية تستطيع أن تفسر عوامل التقدم والتخلف .. فالفكر لا يقاومه الا الفكر .. لقد اسلمت الشعوب المسيحية قيادها الى الايدولوجيات لأن الدين المسيحي لم يستطع أن يمدها بالبناء الفكري الكامل الذي يستطيع أن يفسر الأوضاع الاجتماعية في المجتمع ، وان يمنحها الأمل والمثل الأعلى في مستقبلها .. وهو ما عملت الأيدولوجيات الحديثة على تقديمه على الخلاف المعروف بينها ..

والحق أن الموضوع أعمق من أن يكون مفاضلة أو مناظرة بين الأيدولوجيات من جانب والأديان السماوية من جانب آخر .. كل منها يجند الانصار ويدعو التابعين وان رجحت في ميزان التحليل بالمنطق والعقل كفة الأديان لأنها تغذي الجانب الروحي في الانسان ، وتمنحه من الراحة والاطمئنان الفردي والاستقرار الاجتماعي ما لا تمنحه له هذه الأيدولوجيات . نقول ان الموضوع أعمق من هذا وخصوصا بالنسبة لنا نحن المسلمين وعلى الأخص بالنسبة للشعوب العربية التي تعاني من مواجهة حضارية منذ بداية هذا القرن بينها وبين الأيدولوجيات الغربية (سواء كانت رأسمالية أو شيوعية) فالاثنان على السواء ماديو النزعة والمنطلق .. وان هذا الذي نشهده هذه الأيام لهو الأزمة الحضارية بكل أبعادها . وكان لا بد أن نتعرض لها حتى نفيق من سباتنا .. وحتى نتبين موقفنا من العالم وموقف العالم منا .

ولقد طال علينا الأمر ونحن نجتر ذكريات تراثنا المجيد .. وأن كنا في الواقع لا نعرفه حق المعرفة .. فبينما كانت أوروبا تستيقظ كنا نحن نياما . وحينما نهضت فتحنا أعيننا .. ثم حينما بدأت تلتفت نحونا تريد أن تلتهمنا كنا قد بدأنا نستيقظ .. واذ بنا دويلات تخضع كل منها لنفوذ معسكر أو دولة أوروبية .. واذا بنا أشد ارتباطا — خصوصا من الناحية الاقتصادية — بهذه الدول من ارتباطنا بعضنا ببعض ..

وبينما نحن نمسح النوم عن عيوننا كان العملاق قد انتصب واقفا وكان لا بد أن يقع الاصطدام لنفيق ، ونعيد التفكير في حضارتنا في مواجهة الحضارة الغربية .

واجهتنا الايدولوجيات الغربية وكل منها يريد أن نندمج فيه ، ونعتنق مبادئه اعتمادا على الفراغ الفكرى الذى وجدنا عليه أنفسنا .. لقد واجهونا ليس فقط بحضارة مادية متقدمة استطاعت أن ترفع مستوى معيشة الفرد ، ولكن أيضا — وهو الاهم — بنظرية متكاملة تفسر الواقع وترسم طريق المستقبل .. ولم يكن العالم الاسلامى مستعدا لهذه المواجهة ، فقد طال عليه الامد ، وهو يجتر ذكريات مبهمة من تراث مضى لم يستطع أن يستخرج منه نظرية تقف على قدم المساواة جدليا ومنطقيا مع ما واجهه من فكر ، أو تستطيع أن ترسم له بوضوح واقعى طريق المستقبل ..

يقول أحد المستشرقين ان الحضارة الاسلامية ، حين كانت هى الحضارة الغالبة — فالحضارة تفرض نفسها بقوتها — كانت تمتلك فرصة الاختيار

من تراث الحضارات المنهارة ما تدعم به حضارتها من علوم وفنون ونظم . ففى عصر الدولة العباسية نشط المسلمون للترجمة يطلون من خلالها على حضارات غيرهم من الفرس والروم والهنود .. وكان اختيارهم لما يثرى حضارتهم مبنيا على انتقاء ما لا يتصادم في أى جانب من جوانبه مع عقيدتهم ودينهم ، الذى حقق لهم هذه الغلبة .. فأخذوا مايشاءون ، وتركوا ما يريبهم ، فالاسلام لم يكن في ذلك الوقت في موقف دفاعى ، ولكنه تبنى تلك الامكانيات الاجنبية لمصلحته هو ، وفعل ذلك في ريث وأناة ، وان كان قد وقع تحت تأثير ضغط فلم يكن ذلك من الخارج ، ولكن بدافع من مرحلة التطور التى كان يمر بها .

الا أن الحضارة الاسلامية الآن (في رأى كثير من المستشرقين) ليست لها هذه الخيرة .. فهى في موقف الحضارة المغلوبة التى لا خيار لها الا أن تأخذ من الحضارة الغالبة مقومات حياتها ونهضتها .. والا ظلت متخلفة نهبا لأطماع المتخطفين من كل جانب . ومن ثم كانت دعوة المثقفين — الذين أطلوا على الحضارة الغربية فبهرتهم أضواؤها — أن نأخذ من هذه الحضارة ما يعيننا على اللحاق بهم — بحيث لا يصطدم مع عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا .. وخالفهم فى هذا الاتجاه سلفيون نادوا بالتمسك بتراثنا بكل ما فيه .. نتمثله أولا قبل أن نفتح نوافذنا لرياح قد تطيح بنا ..

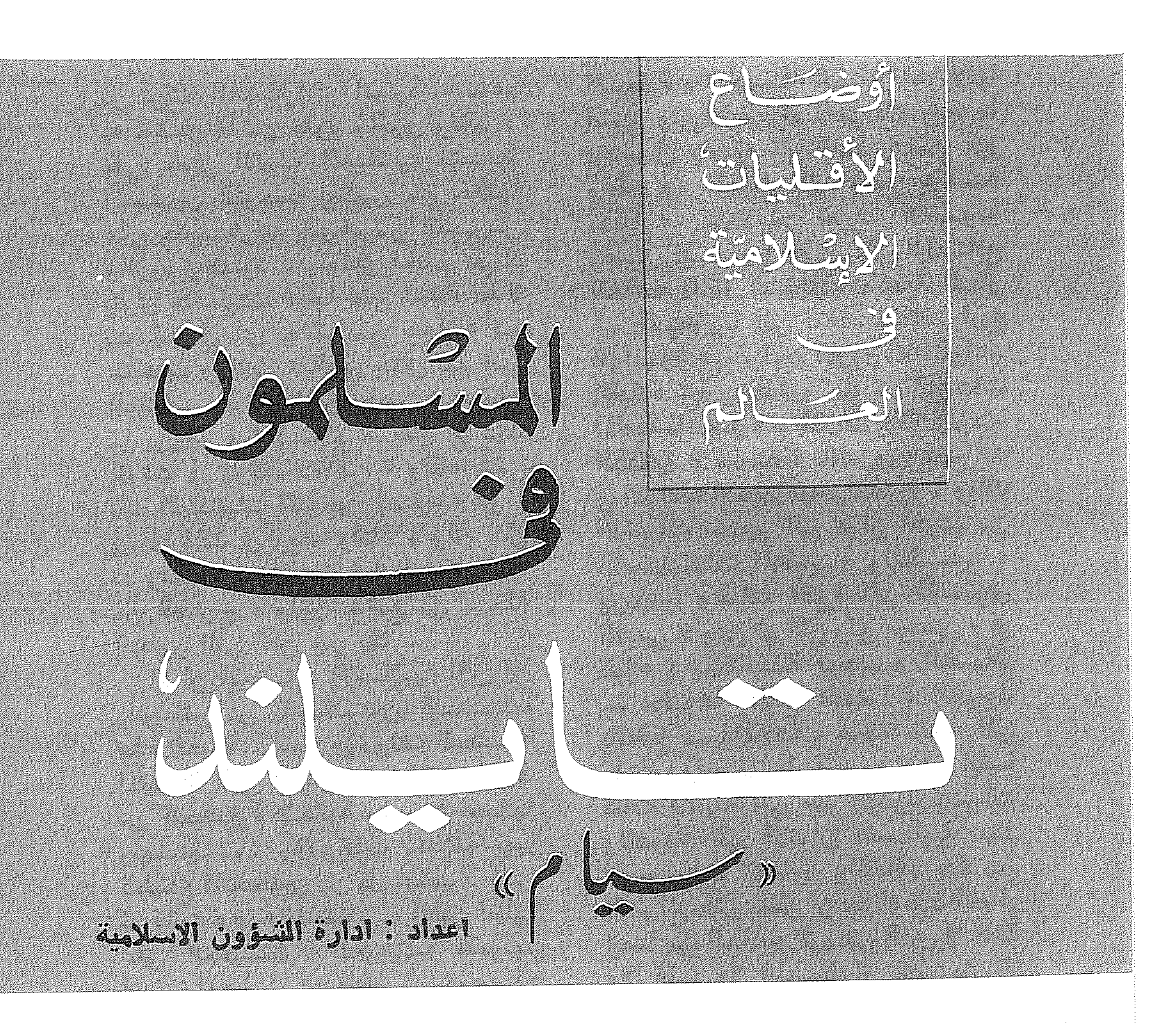
وقد يستدل بعض المقاومين للحضارة العربية برأى لأرنولدتوينبى يقول : ان الأخذ بماديات حضارة ما لا بد أن يتبعه بالضرورة ، ومن خلال الزمن تبن للقيم والنظم التى تتفق مع هذه الماديات .. فنحن نسرع في اتخاذ السيارة مثلا وسيلة للانتقال .. لأنها أسرع وأترف .. ثم نأخذ بالتدريج ما يتصل باستعمال السيارة من قيم ونظم .. فنضطر الى تغيير هندسة مدننا .. فبدلا من تقارب البيوت وضيق الشوارع الذى كان الطابع الغالب لمدننا استجابة لمناخنا الحار .. اضطررنا الى اتخاذ الشوارع الواسعة ، وقوانين المرور .. وقواعد القيادة .. وهكذا .. في كل المنتجات المادية للحضارة . فالاخذ بالتكنولوجيا الحديثة « سيجلب بالضرورة تغيرات في المواقف الاجتماعية والفكرية ، وتلك التغيرات ستجر الى ألوان أخرى من الاستمدادات العلمية والفلسفية ، وربما وصلت أخيرا الى المستوى الدينى » ومن ثم كان رأى توينبى (أو تنبؤه) بامكانية توحيد العالم — مطبوعا بطابع الحضارة الغربية بالطبع — فالمنتجات جميعا تتجه الى أهداف وقيم متشابهة ، ومن هنا أيضا كانت دعوته الى نبذ الايدولوجيات والعودة الى الاديان السماوية بعد أن يسودها التعاون والتفاهم بدلا من الصراع حتى يمكن أن يتم توحيد العالم أيضا من الجانب الروحى الذى لا حياة ولا غنى ولا استقرار للبشرية الا بوجوده ، ولا يعنينا هنا أن يكون مخلصا أو غير مخلص فيما ينادى به ويدعو اليه .

لقد كان على الجانبين المتصارعين منذ البداية أن يجيبوا أولا على عدة أسئلة أساسية قبل الوصول الى ما وصلا اليه من فكر يقود ويغذى صراعهم ، الذى لم ينته حتى الآن الى اتجاه واحد يجمعهما على طريق المستقبل الذى تتطلع الى تحقيقه كل شعوب العالم الاسلامى .. وهو ما سنحاول أن نعرضه في الحلقة القادمة.

---

* فون جونباوم « تأثر الأمم الاسلامية بمدنية الغرب » . الثقافية الاسلامية والحياة المعاصرة تقديم محمد خلف الله — مكتبة النهضة ١٩٦٢

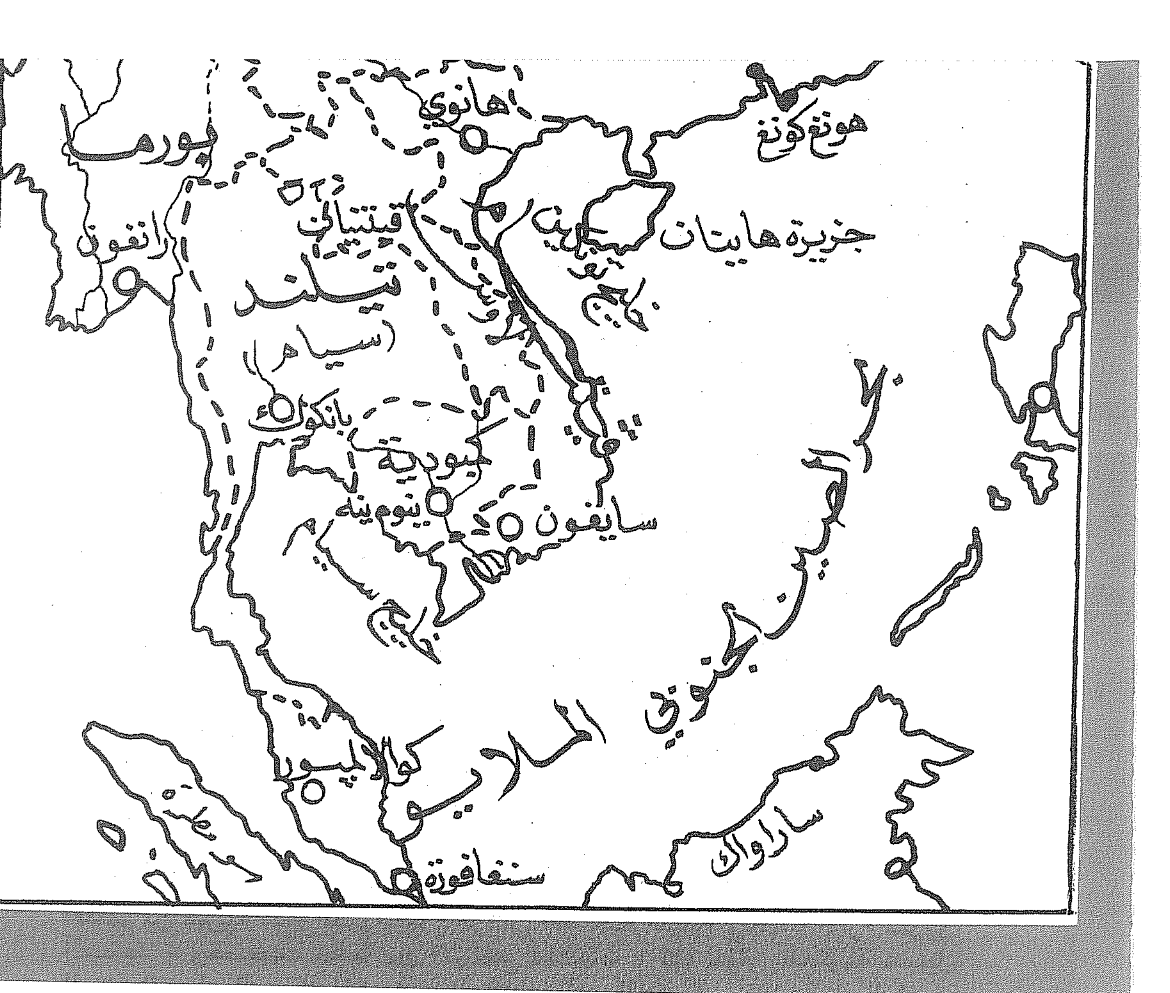
* فون جونباوم « تأثر الأمم الاسلامية بمدنية الغرب » . الثقافية الاسلامية والحياة المعاصرة — تقديم محمد خلف الله — مكتبة النهضة ١٩٦٢ ص ١٨٦ .



الوضع الجغرافي :

تايلاند دولة مستقلة ، تقع فى الجنوب الشرقى من آسيا ، حدودها من الشرق والشمال الشرقى ، كمبوديا ولاوس ، ومن الغرب والشمال الغربى بورما ، ومن الجنوب ماليزيا . مساحتها (١٩٨/٤٥٦) ميلا مربعا ، وتغطى الغابات حوالى ٧٠٪ من مساحتها والباقى سهول ووديان خضراء خصبة وحقول أرز غنية ، ولذلك كانت الزراعة هى عصب الحياة الاقتصادية للبلاد ، فالتربة خصبة والمياه وافرة ، ويشكل الارز الغذاء الرئيسى الذى يفيض عن الحاجة فيشكل مصدرا هاما للحصول على العملة الاجنبية ، ومن أهم صادراتها بالاضافة الى الأرز ، المطاط والصفيح وغير ذلك .

يبلغ عدد السكان (٣٠) مليون نسمة ، منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون مسلمون يعيش معظمهم فى المقاطعات الجنوبية الاربع التى تتاخم حدود ماليزيا ، أما بقية المسلمين فهم موزعون فى شتى أنحاء البلاد وعلى الاخص فى أيوديا العاصمة القديمة وفي بانكوك العاصمة الحالية ، كما يعيش بعض المسلمين فى



الشرق والشمال الشرقى ، وينتشر آخرون فى منـاطق مختلفة ، الا أن عدد المسلمين الحقيقى غير معروف اذ ليس هناك احصاء رسمى صحيح والارقام التى تبين عددهم مشوهة وصغيرة لأسباب سياسية كما هو الحال فى تنزانيا وأثيوبيا وسيراليون ولبنان .

نظام الحكم :

تقوم الادارة فى تايلاند على أساس ديمقراطى ملكى والملك يمارس سلطته عن طريق موافقـة المجلس الشعبى وتصديقه والملك الحالى هو « بوميبول ادرلياويج » وهو ملك دستورى يرعى كافة الأديان فى المملكة ، وتعترف الدولة بالبوذية كدين رسمى ويشكل البوذيون الاغلبية الساحقة ويعيشون بسـلام مع الأقليات الأخرى .

لمحة تاريخيـة :

بدأ اهتمام الأسرة المالكة بالاسلام فى تايلاند منذ ثلاث مئة وستين سنة عندما حضر الى عاصمة البلاد اخوان من بلاد فارس هما الشيخ أحمد والشيخ

سعيد وكانت العاصمة ايوديا مدينة مزدهرة واشتغل الاخوان فى التجارة ، ثم التحق الأخ الاكبر الشيخ أحمـد فى خدمة الملك واصبح مسؤولا عن الشؤون الاسلامية ومنحه الملك وظيفة عالية فى البلاد .

وقد تقدم الاسلام بخطا سريعة فى عهد الملك ناراى الكبير (١٦٥٦ـــ١٦٨٨) فعلى الرغم من مقاومة الملك لجهود رسل الحكام المسلمين فى سومطرة والهند لدعوته الى الاسلام ، فقد سمح للسفير الهندى المسلم ببناء مسجد فى عاصمة ملكه ، ثم دفع نقودا لبناء المساجد ، واستمرت حماية الملوك للاسلام رغم انتقال العاصمة أولا من أيوديا الى ذنورى ثم الى بانكوك العاصمة الحالية ، وكانت الشؤون الاسلامية من اختصاص أحد المسؤولين فى المحكمة العليا كان يعرف بالفباخولارا جمونترى ، وفى عام ١٩٠١ أصدر الملك شمولالونج كورن قانونا يقضى بالفصل فى كافة القضايا المدنية المتعلقة بمســائل الزواج والميراث بين المسلمين على يد قضاة مسلمين ، ووضع خلفه الملك فاجيرانوذ مجموعة من القوانين تتناول علاقات حكومته برعاياها المسلمين ، كما ضمن الدستور الذى تبع الغاء الملكية المطلقة فى عام ١٩٣٢ التسامح وحماية الأديان فى تايلاند بمادة تنص على أن الملك « يساند كافة المعتقدات الدينية » .

حالة المسلمين الدينية :

يتمتع المسلمون فى تايلاند بحريتهم الدينية الكاملة وبممارسة شـــعائرهم الدينية واقامة الاحتفالات الاسلامية فى المناسبات وفى حالات معينة يسمح لهم بعقد احتفالاتهم فى الاماكن العامة ، فيجرى الاحتفال بالمولد النبوى فى ميدان عام دائما ويدعى لحضوره الملك والملكة وقد أكدت السلطات التشريعية منذ القرار الملكى الذى صدر فى عام ١٩٤٥ ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية فى قضايا الاحوال الشخصية ، بالنسبة لزواج المسلمين وتوارثهم وما يتصل بذلك ، كما أعفتهم من ضريبة ذبح الحيوانات لأغراض التضحية الدينية ونظمت ادارة شؤون المساجد ، وخصصت قطعا من الاراضى لبنائهـــا ، كما تتولى الحكومة تسهيل السفر للحجاج الى مكة المكرمة ، كاعطاء موظفى الحكومة من المسلمين الراغبين بأداء فريضة الحج أجازة براتب كامل ، ويبلغ عدد الذين يؤدون فريضة الحج من التايلانديين كل سنة حوالى ألفى مسلم ، فالمسلمون التايلانديون مغرمون بأداء فريضة الحج ، وكثيرا ما يرهنون ممتلكاتهم ويبيعونها كى يتمكنوا من أدائها ، وتتكرر هذه الحوادث نظرا لجهلهم بروح الاسلام وتعاليمه ، كما يعطى للمسلمين اجازات براتب للعطل الدينية كعيدى الفطر والاضحى ويسمح لرجال القوات المسلحة والبوليس من المسلمين بوقت كاف كل يوم جمعـــة لأداء الصلاة فى المسجد .

ويتمتع المسلمون فى تايلاند بحرية تشكيل المنظمات الاجتماعية ، ويوجد حوالى « ٣٠ » منظمة فى البلاد ، غير أن معظمها ليس نشيطا ، وكل منها يعمل بشكل مستقل فلا تتحد كلمة الجالية الاسلامية حتى فى مناسبات الفرح والجنازة والاحتفالات ، فهناك حزبان من المسلمين فى تايلاند أولهما قديم يقوم على البدع والخرافات والثانى حديث يعرف بالوهابى أو (قوم الجديد) والذى له أتبـــاع قلائل ، ويتبع كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد دخل النظام الاخير فى صفوف الجماهير منذ أربعين سنة خلت بفضل العالم الاندونيسى العظيم الشيخ أحمد وهاب ، وكان هذا الرجل يتعاون مع المرحوم السيد رشيد رضا ، ومما يؤسف له أن هذه الجماعة تضعف يوما بعد يوم .

المســاجد :

يبلغ عدد المساجد الرسمية فى تايلاند (١٢٦٧) مسجدا منها (١٠٤) مساجد فى العاصـــمة (بانكوك) وتتركز أكبر مجموعة من المساجد بما فيهـا المسجد المركزى فى المقاطعات الجنوبية الاربع وهى باتانى وبالاونا ، واثيفاز وساتول ، حيث يبلغ عدد المساجد فيها حوالى النصف من المجموع العام ، وأما المسـجد المركزى الكبير فهو فى مقاطعة باتانى ، وتنتشر باقى المساجد فى أكثر من (٣٢) مقاطعة ، وبعض هذه المساجد تعمل على بناء مدارس ملحقة بها لتدريس العلوم الاسلامية لطلاب المدارس وبعـد انتهاء دروسهم النظـامية . هذا وتخصص الحكومة ميزانية سنوية لاصلاح المساجد وبنائها .

الحالة الثقافية :

يوجد فى تايلاند حوالى (٢٥) مدرسة عادية يديرها أصحابها من المسلمين وقليل من هذه المدارس يعلم الدين الاسلامى ، ومعظمها يوجد فى العاصمة ، كما أن هناك مدارس دينية محضة للعلوم الاسلامية فقط ، غير أنه لم يجر احصاء لعددها لأن معظمها غير مسجل رغم أن عددها كبير .. الا أن المسلمين فى تايلاند يفتقرون بشكل عام الى التعليم والوعى السياسى فهم متأخرون فى ميدان التعليم الاسلامى والتعليم العام على السواء ، وليس هناك أى مؤسسة اسلامية كاملة تضمن مستقبل الاجيال القادمة ، ولذلك يقتصر الاسلام على أداء الصلاة والصوم والحج ، ولا يتم تطبيقه كمنهج حياة ، كما أن من يهتم بالتعليم الدينى يتلقى تعليمه من مؤلفات مكتوبة بلغة غير اللغة التايلاندية أو العربيـــة ، وضعها علماء فى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ولا ترتكز على أساس النظرية الاصلية من القرآن والحديث ، وباستثناء عدد قليل من الرسائل ينعدم وجود أدب اسلامى باللغة التايلاندية ، ولذلك ينتشر الجهل بمبادىء الاسلام الصحيح وشعائره ، كما أن الحاجة ماسة الى مجلة اسلامية قوية باللغة المحلية فى سبيل نشر المعرفة الصحيحة عن الاسلام ومعالجة قضايا الانقسام والشقاق ، أما من يبحث عن تعليم عام فيذهب الى المدارس العامة المنعزلة عن الاســلام والتى يكون فيها التعليم البوذى اجباريا ، وأما المدارس الاسلامية القليلة العدد اجمالا فقد تبنى قسم منها نظام التعليم الحكومى الذى تعترف به وزارة التربية والتعليم ، ومن ثم هناك درس للدين البوذى يحضره الطلبة المسلمون وغير المسلمين وفى تلك الحالة يثقل كاهل الطلبة المسلمين بتعليم الجانب الاسلامى خارج قاعة الدرس مدة ساعة ليست كافية ولا مؤثرة .

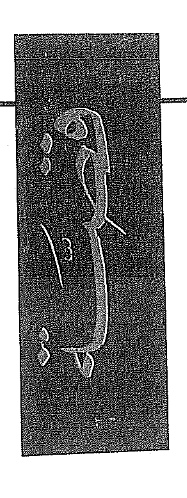
ويتكلم المسلمون التايلانديون اللغات المحلية الى جانب العربية بالنسبة للمتعلمين أما فى الجنوب فيتكلمون لغة خاصة بهم وهى لهجـــة ملاوية ، وهم متأخرون فى التعليم لدرجة أنهم لا يجيدون الكتابة ولا القراءة أو التحدث باللغة التـــايلاندية التى هى لغتهم الاصلية ولذلك ليس فى مقـــدورهم تولى نصيبهم الشرعى من وظائف الحكومة ولكن بعضهم يجيد العربية الى جانب الملاوية .

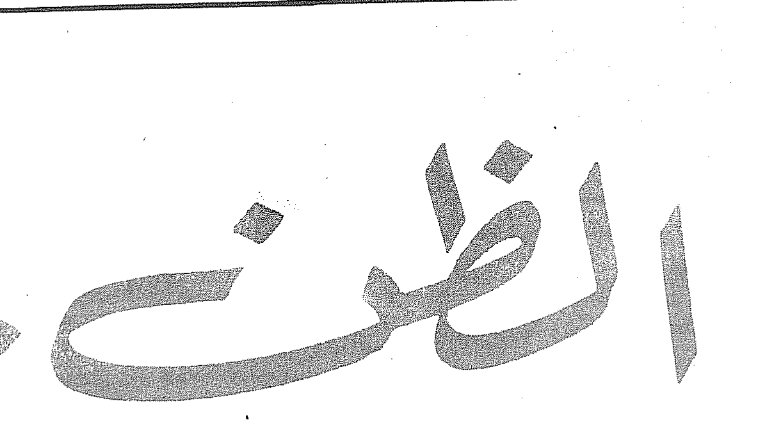
والجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٥٠ تم انشاء كلية اسلامية فى بانكوك وهى مؤسسة حديثة حسنة الاثاث ، يزيد عدد طلابها عن ثمانمائة طالب ، وتقـدم المنح الدراسية الحكومية لاستئناف الدراسة فى الجامعات المحلية والمؤسسات الدينية فى الخارج .

الارتباط الادارى للمسلمين :

يسمى المسئول الاول عن المسلمين بشيخ الاسلام ويصدر قرار بتعيينه من

(البقية ص ٨٥)





قال محدثى وهو يقص على أحداث هذه القصة الرهيبة التى هى شر ما يمكن أن يتعرض لأهوالها انسان .

توجست خيفة من ذلك الشاب الرهيب ، الذى كان يجلس الى جوارى ، وكانت الشمس تجنح للمغيب ، وقد راحت تجمع شتات أشعتها الواهنة المبعثرة فى الافق ، لتختفى خلف حاجز الامواج البعيـدة اذ كان مجلسى عند شاطىء البحر ، وكنت راغبـا فى الترويح عن النفس ، بعـد عناء يوم مفعم بعوامل الاجهاد ، وكنت قد اتخذت مجلسى عفوا فوق المقعد الرخامى من مقاعد الشاطىء، وحانت منى التفـاتة فاذا بى الى جواره ، الى جوار ذلك الشاب الذى ينضح وجهه بكل معانى القسوة ، والمرارة ، والحقد والذى يكاد البصيص المنطلق من عينيه يتحول الى شواظ من نار .

ومع ذلك فقد كان فى ريعان الشباب ، حسن البزة ، أنيق المظهر ، بل وقد كان مثقفا على طريقة شباب العصر ، اذ كان الى جواره كتاب ، من هذه الكتب التى تحوى بين صفحاتها علما من ذلك النوع الذى يعتبر حجة الله على ابن آدم .

وكان الشاب يقبض أصابعه ثم يبسطها فى عصبية ظاهرة ، ثم لا يلبث أن يقرع ركبتيه بيديه فى انفعال ، ويحدق فى صمت فى الفراغ البعيد عبر الامواج .

وكان خير ما يمكن أن يصنعه محدثى هو أن ينهض ، أن يبتعد عن مثل هذا المجال ، فقد ظن أن بعقل الشاب لوثة أو جنـة ، وأنه قد لا يلبث بعد قليل أن يؤذيه ، وهم صاحبى أن يتسلل فى هدوء ولكن الشاب تنبه اليه فقبض على يمينه وشده اليه فى عنف .

ومرت برهة صمت رهيبة مخيفة مشحونة بجميع التوجسات والاحتمالات ، ولكن صاحبى ما لبث أن رأى فى عينى الشـاب دموعا تترقرق بين جفنيـه ، وتحولت ملامح وجهه الى شىء ينضح بالرجاء ، وقال الشاب :

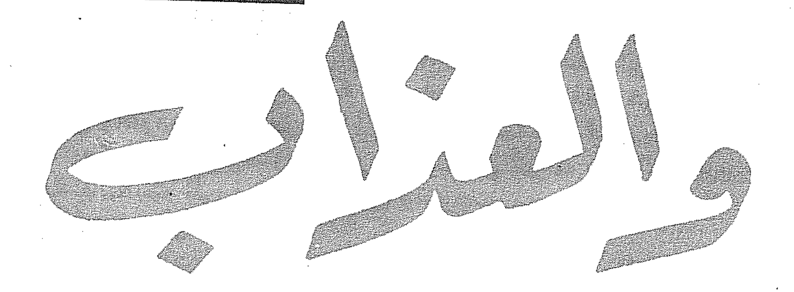
ألست فلانا ..؟

قال محدثى : بلى

قال الشاب فيما يشبه التوسل الذى تعجز عن وصفه الكلمات .. وكان حديثه أشبه بالهمس المتقطع المبهور الانفاس .

أعرفك يا سيدى .. اننى من جيرانك ــ كنت أراك تتلو الآيات فى شرفة دارك .. فأجلس وأستمع ، انك من ذلك النوع الذى يستطيع أن يرشدنى .

بقلم : الاستاذ محمد لبيب البوهى



فوجد صاحبى نفسه الى جوار انسان بائس يستجدى المودة ، ويلتمس النصح فاقترب منه وقد فارقه الروع بل أخذ يهدىء من انفعـــال الشاب الذى انفجر يقول بصوت حاد قوى مرتفع .

ماذا لو أننى أمسكت بقطعة من حجر فشججت بها رأسى حتى ينفجر منه الدم ..؟

أو ماذا لو أننى جئت بثقل من حديد فشددته الى قدمى ، وألقيت بنفسى فى أغوار اليم لأكون طعاما للأسماك ..؟

ماذا يا سيدى لو أننى فعلت بنفسى شيئا من ذلك ، أو أوقعت بنفسى ما هو أشد فظاعة وهولا ، هل يمكن أن يكون ذلك التعذيب لنفسى سبيلا الى نيــل المغفرة ..؟

أخذ صاحبى يطيل النظر فى ذهول الى الشاب ، وقد أخذ ظنه يتحول الى ما يشبه اليقين بأن الشاب به جنة أو خبل ، وهم أن يتباعد الى طرف المقعد لولا أن الشاب ارتمى فى بؤس على كتفه وانفجر فى بكاء مرير .

وغمرت صاحبى موجة العطف من جديد ، وكان عليه أن يطامن من هـــذا الانســـان الذى يحترق لسبب لا يدريه ، والذى بدا كأن بركانا يتفجر فى أعماقه فأخذ يتلطف اليه .

هون عليك يا أخى .

فشد الشاب من قبضته على يد الصديق . وقال فى عنف وهو يتراجع ويشد من قامته فى تصلب عنيف . لا تحاول أن تهون على أو تتلطف ، اذا كانت بك ذرة من عطف فأمسك برأسى وأضرب به فى الجدار ، أو ارشدنى الى أفظع ما يمكن لانسان أن ينزله بنفسه من العقاب ، فالعذاب قصاص ، لا تحدثنى عن الحرام والحلال ، ان كل ما أبغيه هو أن أعذب نفسى جزاء وفاقا عن جرم لا أعتقد اننى أستحق عنه مغفرة فى الارض ولا فى السماء ، ذلك ظنى ولا يهمنى أن يكون حقا أو باطلا ، اننى لا أريد المغفرة ، لأننى لا أستحقها ، وسوف أفر من كل باب من أبواب الرحمة ولو مكثت ألف عام فى هول الجحيم .. اننى مجرم .. مجرم .. مجرم من نوع شاذ مريع وعجيب .

يقص على صاحبى قصته فقال :

اننى أقترب من منتصف عامى الرابع والثلاثين ، ولم أتخذ لى زوجة الا من

نحو اربع سنوات فحسب ، وما اظن انسانا قضى أيام شبابه أسود مما قضيته ، أو غاص فى أعماق الوحل الى أكثر من العمق الذى غصت اليه ، وخرجت من تجارب الفسق والفجور وزمالة الابالسة وزبانية الهوى والشهوات ، خرجت من كل هذا بفكرة شيطانية هى أنه لا توجد على الارض امرأة تستعصى على الاغراء . لقد وقر فى خيالى الاحمق المريض أن كل بنات حواء مهيآت للخطيئة ، كل ما هن فى حاجة اليه هو الوقت والوسيلة ، وهى كلمات ليست من عندى وانما أنت تسمعها على أفواه أولئك الذين لهم مثل تجاربى والذين عاشوا فى الارض كما عشت ، وقد ظل أبى عشر سنوات يحاول بكل وسائله أن يدفعنى نحو الزواج ، ومات وهو عنى غير راض .. ترى هل اللعنة التى أصابتنى بعد ذلك هى لون من جزاء عقوق الوالدين والتردد عن طاعتهما ؟. يجوز .. انما ذلك ليس موضع تفكيرى الآن ، ولما مرضت أمى مرضها الاخير خشيت أن تموت هى الاخرى وهى عنى غير راضية فأسلمت الى ارادتها زمامى وتزوجت ..

نعم تزوجت من أربع سنوات ..

وما أشد ما تكشفت لى الحقائق من روعة ، لقد شعرت بالخزى والعار من ظنونى الابليسية نحو النساء فلو أن كل ما كتب أهل الفضل والمثل والقيم العليا فى فضائل النساء ، لو أن كل ما كتب عن ذلك قد تجسد فى صورة امرأة لكانت هى تلك التى دفعت بها الاقدار فى طريقى . وصمت الشاب قبل أن يسترسل وأرسل نظراته البئيسة الملتهبة فى أعماق ذكرياته النارية ومسح دمعة تحجرت فى مآقيه واستطرد .

لقد دفعت بها الاقدار فى طريقى ، وعلى حد معرفتى وتعبيرى فانى أتمنى لو رحمتها الاقدار ورحمتنى فأبعدت كلا منا عن الآخر . اننى أقول ليت .. ولكن ماذا تنفع ليت الآن ..؟

وترك الاسترسال فى الحديث وعاد الى البكاء البئيس المرير ، ولم يشأ صاحبى أن يحلف عليه ، أو يدفعه الى ما لا يريد ، بل رأى أن يتركه على سجيته حتى التفت اليه وقال :

لا أستطيع أن أصف ما جبلت عليه امرأتى من الرقة والنبل ، لقد كانت حورية هبطت الى من علياء السماء ، حتى قدر لها أن تلقى شر مصير على يدى هاتين ..

وفى غرة من صديقى استجمع الشاب قبضته ثم سدد ضربتين الى رأسه فى عنف عنيف ، وهو يود لو استطاع أن يدس أصابعه الى داخل جمجمته ليحطمها بينما استرسل يقول وهو يشير الى رأسه : هنا تكمن تلك الآلة اللعينة التى يسمونها العقل ، ذلك العقل القذر الذى لم يعصمنى من الهول ، ترى لماذا استمعت الى نصح الناصحين فتزوجت ؟ لماذا لم أدع نصحهم يذهب الى الجحيم ؟ لقد كان ذلك أهون مما صار اليه أمرى ..

وسمر نظراته النارية فى عينى صديقى وهو يقول :

لعلك ترانى شديد الانفعال ، كثير الهياج ، ذلك هو طبعى منذ البداية ، وهكذا كنت مع امرأتى .. آه .. ولكنها كانت بلسما لكل الجراح ، كانت لها قدرة ملائكية عجيبة على احتمالى ، حتى كنت فى كثير من الاحيان أهم أن أنشب يدى فى عنقها لأخنقها ، ثم أشعر بالخزى والعار أمام ابتساماتها ، وأعود بعد لحظات طالبا منها الصفح والعفو والغفران ، فكانت بطبيعتها العجيبة تزداد ابتساما ، وهى تضم رأسى الى صدرها فى حنان لم أعرف له مثيلا .. لقد كانت تعرف كيف تهدهد رغباتى وتروض ضراوتى .

ولكن أصهارى .. أهلها واخوتها .. نالهم منى الكثير من الاذى وفحش الهجاء ولم يكن لديهم ما يدعوهم الى احتمالى كما كانت تفعل ،

القطيعة بيني وبينهم ، لقد دب بيننا الخصام بل على وجه أكثر دقة رأوا فى هدوء أن يتباعدوا عن انسان لا يعرف لـكرامة الآخرين وقارا ، وغاظنى منهم ذلك الاحتقار الصامت لانفعالاتى فاقسمت أن تعمل امرأتى على قطيعتهم ، وقلت لها فى صوت عال كانت تردد صداه الجدران : اما أنا واما هم .. اذا وقع اختيارك على أهلك فاليك الباب فاخرجي منه ولا تعودى ..

فابتسمت ولم تجب .

ومرت شهور .. وشهور .. وشهور .. وأنا أتذوق حلاوة الحياة التى لم تكن ترقى اليهـا أحلامي فى يوم من أيام عزوفي عن الزواج ، حتى حدث ذلك الحادث المذهل الرهيب ، الحادث الذى أطلق عقال ظنونى السوداء الحبيسة ، وضرب عقلي بمطرقة الجنون ، وحصد كل هنائي بمنجل قاس لا يرحم .

كنت فى سفر ورحت أستعيد فى وحدتى البعيدة ذكريات سعادتى الزوجية مع امرأتى ، وتذكرت دعواتها الملحة لي الى الصلاة ، وفكرت فى تنفيذ هـذا الرجاء ، أن أعمل على تنفيذ رغبتها كانت تقول لن تكمل سعادتي حتى أراك تتوضأ كما يفعل الصالحون وتصلى، حينئذ سأشعر أننى تزوجت انسانا أفخر به ، صممت على أن أتيح لها الفرصة ، أن أجعل من نفسي انسانا تفخر به امرأته ، انسانا يعرف ربه فقد كانت تقول : طوبى للذين يعرفون الله ..

لم أكن على وجه اليقين أدرك لماذا كانت تدعونى دائما أبدا وفى الحـاح الى الصلاة ، ربما لأن الصلاة كانت ستخلصنى من الهياج الانفعالى الذى كان يأخذ بخناقي فأنقاد له كوثنى يعبد صنمه .

مهما يكن من أمر فقد فكرت أن أحقق لها هذه الامنية والآن .. فقد أدركت كيف ينتهز الشيطان الفرص العجيبة المؤاتية ، لقد رأى الرجيم اننى أوشك أن أفلت من قبضة يده فسلط على أشد أعوانه خبثا وأفكا ، لقد فجر ينابيع الظنون السوداء في رأسى .. تلك الظنون التى كانت ثمرة تجاربى القديمة مع الفحشاء ، حين كنت أستريب فى وجود العفة على الاطلاق ، انبثق فى خاطرى ظن أسود عن امرأتى يقول : وما يدريك أنها ليست هى الاخرى كاللواتى عرفت ..؟

كنت قد شمرت عن يدى للوضوء ولم أكن أعرف وقتذاك أن هذه وساوس ابليس ، بل انبرت لى الظنون تعربد فى عقلى وتدق جدران رأسى ، وخيل الى أن شيئا ما .. ربما يدور الآن من خلفى .. هنالك فى بيتى ..

وقررت أن أعود من فورى الى دارى ، فأسرعت فى غير روية وفعلت ، حريصا على عنصر المفاجأة ..

ويا للهول مما حدث .. مما لم يكن فى حسبان .

هنالك فى غبشة المساء عند وصولى تحققت أوهامى التى بعثت فى كيانى كله شعلة من نار لا يوصف لسعها .

رأيت رجلا لم أتبين ملامحه يتولى مسرعا من خلف أشجار حديقة دارى .

وأدركت على الفور أن المجرمة اللئيمة قد رأتنى قادما بسيارتى من الشرفة الشرقية المواجهة للطريق فأوعزت اليه أن يفر ..

وددت فى هذه الساعة لو كنت أحمل « مسدسى » ولكني على كل حال وقبل أن تفلت منى اللحظة المؤاتية قررت أن أستعمل أصابعى وأظافرى ، ان أجداد أجدادنا الذين عاشوا فى الادغال منذ آلاف السنين كانوا يستعملون أظـافرهم وأسنانهم كأسلحة حادة عند الضرورة ، وهذه هى فرصتى وقد انبثقت هـذه الروح فى أعماقى . اندفعت من سيارتى وجريت خلفه ولحقت به وأمسـكت بطرف من ردائه وشددته بعنف فتمزق الرداء وبقى جزء منه فى يدى وانطلق اللعين ، انطلق المجرم بعد أن قفز الى سيارتي وفر بها .. كنا في الليل — وكانت كل الاشياء تبدو كالاشباح .

رحت أجرى خلفه واصرخ وأشد شعرى وأنا ممسك بيدى بالقطعة التى انتزعتها من ردائه .

ولكن المجرم استطاع أن يفر ، بل كان فراره بسيارتى ، وما اخال منظرى فى تلك الساعة الا كان أشد فظاعة مما يتصور الناس عن اشكال الابالسة والشياطين .

وعدت الى الدار وأنا اتميز من الغيظ ، وكانت المجرمة اللئيمة عند درجات السلم العليا فى بهاء روعتها وزينتها تبتسم تلك الابتسامة التى فجرت فى صدرى بركان النار ، فلم ألبث أن شددتها من شعرها ودفعتها بكل قوة وعنف فانهارت تتدحرج على الدرجات الرخامية كانها كرة من المطاط قذف بها طفل من عل ، لم انظر نحوها ، ولم أبال بها ، ولست أدرى اذا كانت قد أرسلت صيحة .. ام انهارت دون أن تتمكن من الصياح .. فقد قررت من فورى أن اذهب الى دار ذويها لأواجههم بالفضيحة والعار .

وهنالك عند باب دارهم طالعنى شىء غريب ، فقد وجدت سيارتى هناك ، فاخذنى من ذلك عجب شديد ، وانفجرت ضاحكا فى سخرية هستيرية أمام امعان الاقدار فى السخرية منى .. اذن فعشيقها هو احد اقاربها .. هيه ..

وأخذت أصعد درجات بيتهم قفزا بغير أناة ، وفى صدر الصالة لقينى اخوها الاكبر وهو يبتسم ، كان جالسا وفى يده خيط يعالج رداءه الممزق ، ونظرت الى الرداء والى قطعة القماش التى فى يدى ..

وكانما لحظ أخوها ما يجول بخاطرى فقال وهو يعانقنى :

اعف عنى وسامحنى ، لقد خاصمتنا ولكن الشوق دفعنى الى رؤيتها .. لقد ذهبت فى غيبتك لأراها ـ انك تعلم انها الاخت الوحيدة .

واعتمدت رأسى بكلتا يدى ، واستندت الى الجدار احمى راسى من هول الدوار ، وبدت الارض كانما تميد بى وتدور ، ورحت فى صمت قاتل مريع انظر فى الفراغ لعلى أرى الجحيم فارتمى فيه .

قال أخوها ليقطع حبل الصمت :

ستشرب معنا القهوة ، ولعلك تراجع نفسك ، فتفتح لنا صدرك .

كان لهذا الكلام السهل البسيط على نفسى وقع شواظ النار فصرخت من اعماقى :

لا .. لا استطيع .

ورحت أهرول عائدا الى الدار ، وتبعنى أخوها ماخوذا بما بدا فى تصرفى من شذوذ ، كنت أسرع وأسرع فى المسير ، أود أن أقع تحت قدميها الطاهرتين وأبللهما بالدموع وألتمس عندها التوبة وأرجو الغفران .

ولكن وا أسفاه .. لقد وجدت كل شىء قد انتهى ..

كان رجال الشرطة قد جاءوا وأخذوا أقوالها قبل أن تلفظ آخر انفاسها .

لقد كتبت بخطها الذى أعرفه .. أن قدمها قد زلت فوقعت وطلبت اليهم أن يبلغونى حبها .

لم أستطع أن أقف أو اجلس .. ولم اعد قادرا على مواجهة الحياة ، فان استطعت أن تدلنى على أبواب الجحيم فافعل .. اننى مجرم .. مجرم من نوع شاذ وفظيع .. اننى لا أريد الرحمة ولا استحقها .. واياك أن تنظر الى بهذه النظرات التى فيها العطف والرثاء اننى أريد العذاب .. والمزيد من العذاب .. وكل ما أبغيه أن تصبح قصتى عظة للآخرين .. والويل ثم الويل للذين لا يتذكرون .

الملك مدى الحياة بعد أن يتم ترشيحه من قبل مشايخ وجمهور المسلمين ويكون مستشارا للحكومة في شؤون المسلمين ويتبع من الناحية الرسمية لوزارة التربية التي لها ادارة خاصة بالشؤون الدينية ويجرى له راتب شهرى محدد ، ويرأس لجنة تعرف باللجنة المركزية للمسلمين ، أما أعضاء اللجنة المركزية للمسلمين فليس لهم راتب ، ويتبعون وزارة الداخلية ، ولهم الحق فى تعويض مالى عندما يدعون لحضور اللجنة وتتألف من أربعة عشر عضوا يتم انتخابهم فى الغالب من أئمة المساجد الرسمية أو بتوصية من شيخ الاسلام .

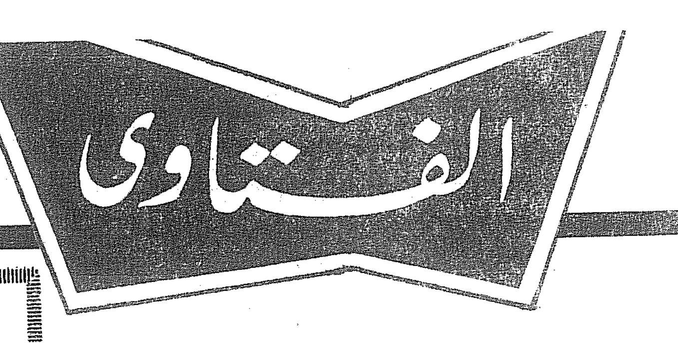
ويلى اللجنة الاسلامية المركزية فى الاهمية والتسلسل الادارى اللجان الاقليمية التى يبلغ عددها (٢٤) لجنة ، وهى تتشكل فى المناطق التى تعيش فيها مئة أسرة مسلمة على الاقل والتى فيها مسجد مسجل على الاقل ، ويرأس هذه اللجان عادة امام أحد المساجد الاقليمية ، وتتبع اللجنة المركزية بصفة مباشرة ، ولا يتقاضى أعضاء هذه اللجان مرتبات ولا مكافآت ، وهم يشغلون وظائفهم مدى الحياة ، وشيخ الاسلام الحالى هو الحاج اسماعيل ، وهو يحتل مركزا رئيسيا فى جميع الامور التى تتعلق بالاسلام وهو ممثل الملك فيما يخص حماية الحرية الدينية للمسلمين .

وبالرغم من أن للمسلمين الحق فى تولى الوظائف الادارية الحكومية ، الا أن كثيرا منهم لا تتاح لهم الفرصة لتولى الوظائف العالية كوزير أو وكيل وزارة أو سكرتير وزير رغم ثقافتهم العالية ، ومؤهلاتهم الممتازة وذلك بسبب الدين حيث يفضل البوذيون على سواهم فى الوظائف العالية .

الحالة الاجتماعية والاقتصادية :

يعيش المسلمون فى الجنوب كزراعيين يزرعون المطاط أو يشتغلون فى مزارع المطاط ومناجم الذهب كعمال ، وكثير منهم أصحاب أعمال ، وقليل منهم يمتلك المزارع ، وليس لدى المسلمين فى الجنوب شركات مهنية كبيرة ودائمة ولكنهم يمتلكون محلات تجارية صغيرة يديرونها بأنفسهم ، ويعيش فى بانكوك حوالى (٢٥٠) الف من المسلمين (٢٠٪) منهم مثقفون و (٥٪) وصلوا الى المرحلة الجامعية ، وقد كان معظم المسلمين فى العاصمة مزارعين وبعضهم موظفون فى الشركات المهنية ومكاتب الحكومة وقليل منهم ملاك وتجار خشب ، وقد افتتح بعضهم شركات مهنية حرة ، ولما كانت البلاد تسير فى طريق التقدم والنمو فقد شقت طرق عديدة فى المزارع فى بانكوك فارتفعت أسعار الاراضى والمزارع التى يملكها المسلمون مما ساعد كثيرا من ذوى الحظ السعيد من المسلمين أن يصبحوا من أصحاب الملايين والملاك ، وقليل جدا من هؤلاء المسلمين يفكر فى انشاء شركة مهنية كبيرة ، الا أن القاعدة العامة هى أن المسلمين فى تايلاند فقراء ويعمل كثير منهم فى الصيد ، وأما الذين يتمتعون بأوضاع اقتصادية حسنة فهم قلة وهم فى تناقص وانخفاض .

هذه نبذة عن حياة المسلمين فى تايلاند ، وأن المسلمين فيها فخورون بدينهم ومتحمسون لاتباع تعاليمه ، فهم يشتركون بانتظام فى المنافسات الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى تجرى فى كوالالمبور بماليزيا يحضرها ممثلون عن باكستان والهند والفلبين وكمبوديا والبلد المضيفة ، وفى عام ١٩٦٣ نال قراء تايلاند الجائزتين الاولى والثانية .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

مس المصحف وحمله

السؤال :

هل يجوز حمل المصحف الشريف من غير وضوء وهل يجوز وضعه فوق سجادة الصلاة ؟

خضر سليمان
السودان — الخرطوم

الاجابة :

ذهب جمهور الائمـــة الى أنه يحرم على المحدث حدثا أكبر أو أصغر مس المصحف وحمله استنادا الى قوله تعالى « لا يمســه الا المطهرون » والى حديث ابن عمر « ألا يمس الا على طهارة » — واستثنى الجمهور مسه بحائل منفصل بناء على أن المحرم هو المس مباشرة باليد بلا حائل —

وذهب بعض الفقهاء الى أنه يجوز لضرورة التعلم أو التعليم للمحدث حدثا أصغر أو أكبر ولو حائضا مس المصحف وحمله ، أما وضع المصحف فوق سجادة الصلاة فلا مانع منه شرعا اذ أنه موضوع فى مكان طاهر .

في النكاح

السؤال :

أنجبت عائشة بنتا تدعى خديجة ثم تزوجت خديجة برجل يدعى على وكان على متزوجا بامراة أخرى له منها ولد — فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج عائشة أم زوجة أبيه ؟

راتب الشويكى
بمعهد الامامة والخطابة

الاجابة :

المحرمات بالمصاهرة أربعة أنواع :

١ — فروع زوجته المدخول بها .
٢ — أصول زوجته .
٣ — زوجة فروعه وان نزلوا .
٤ — زوجة أصوله وان علوا .

فيحرم بالاول أن يتزوج الرجل بنت زوجته التى دخل بها وبالثانى أم زوجته وجدتها مطلقا دخل بزوجته أو لم يدخل وبالثالث والرابع تحرم زوجة ابنه وزوجة أبيه وان بعد الاب والابن فتحرم الزوجة على أصول الزوج وفروعه ويحرم الزوج على أصول الزوجة وفروعها فقط وأما فروع الزوجة وأصولهـــا فلا تحرم على أصول الزوج وفروعه ومن ثم فيجوز أن يتزوج رجل امراة ويتزوج ابنه أو أبوه أمها أو بنتها من غيره .

وبناء على هذا يجوز شرعا أن يتزوج ابن على عائشة أم زوجة أبيـــه المذكورة .

السؤال :

رجل تزوج امرأة وبعد مدة تزوج امرأة ثانية وطلقها ثلاث مرات بين كل مرة حوالى سنة — ثم تبين أنها رضعت مع زوجته الاولى مدة شهر ولم يكن الزوج يعرف موضوع الرضاع وقت زواجه بالثانية — وقد توفيت زوجته الاولى وله رغبة فى اعادة زوجته الثانية المطلقة — وقد قال له أحد العلماء أن زوجته الثانية لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره لانه طلقها ثلاث طلقات متفرقات وقال له آخر أنه يجوز له أن يتزوجها .

فما حكم الشريعة فى ذلك ؟

م. ص — الكويت

الاجابة :

لا يجوز شرعا الجمع بين أختين رضاعا ، كما أن المطلقة ثلاثا لا يحل لزوجها أن يعيدها الى عصمته حتى تنكح زوجا غيره — والطلاق هو رفع قيد النكاح الصحيح ولا يلحق النكاح الفاسد ، ونظرا لأن العقد على الثانية كان عقدا فاسدا لكون الاولى أختا من الرضاع للثانية فكل طلاق صدر منه عليها غير معتبر شرعا لعدم مصادفته محلا لابتنائه على عقد زواج فاسد ومن ثم فلا أثر للطلاق الذى أوقعه عليها ، ويجوز له أن يعقد عليها قبل أن تتزوج بغيره لوفاة الاولى اذ الجمع بسبب الرضاع أصبح غير قائم .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأم وجد وأخ شقيق وأخ لأم .

فما نصيب كل وارث ؟

ح. ح — الكويت

الاجابة :

اذا لم يكن للمتوفى ورثة غير ما ذكر فيكون توزيع التركة على النحو الآتى :

للزوجة الربع فرضا ٦/٢٤ لعدم الفرع الوارث وللأم السدس فرضا ٤/٢٤ لوجود الاخوين الاخ الشقيق والاخ لأم لأنها حجبت بهما حجب نقصان من الثلث الى السدس ولا شىء للأخ لأم لحجبه بالاصل الذكر وهو الجد ومع كونه محجوبا حجب حرمان فقد كان سببا فى نقصان نصيب الام الى السدس — والباقى للأخ الشقيق والجد مناصفة لكل منهما ٧/٢٤ والجد ورث هنا بالمشاركة لأن نصيبه بها أكثر من فرضه السدس ويكون كل ذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين يكون على الميت .

السؤال :

توفى رجل عن أختين لأب وعمين شقيقين ، واخوين لأم وجدة لأم .

فما نصيب كل وارث ؟

محمد أحمد الكحلانى

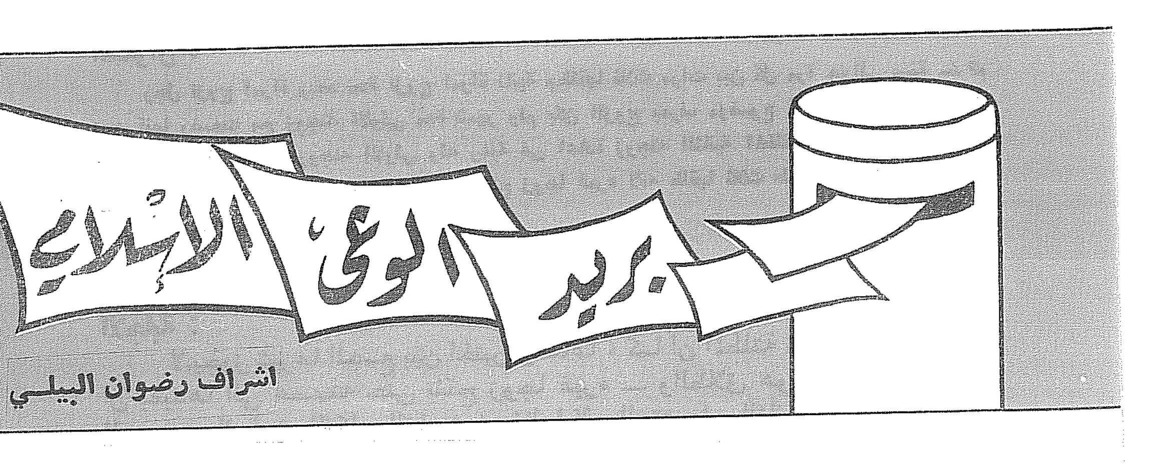
بمعهد الامامة والخطابة — الكويت

الاجابة :

اذا لم يكن ورثة للمتوفى غير المذكورين فيكون توزيع تركته على النحو الآتى :

الثلثان فرضا ٤/٧ للأختين لأب مناصفة والثلث فرضا ٢/٧ للأخوين لأم بالتساوى بينهما والسدس فرضا ١/٧ للجدة لأم ولا شىء للعمين الشقيقين لأنهما من العصبات وقد استغرق أصحاب الفروض التركة وعالت المسألة ولم يبق شىء .

والله أعلم .



الحرب خدعة

دار بيننا نقاش حاد حول تحديد مصدر هذه الحكمة « الحرب خدعة » فقال أحدنا : انها حديث نبوى ، وقال ثان : كلمة مأثورة عن على بن ابى طالب ، ونفى آخر هذين القولين ، وذهب الى انها ترجمة لكلمة انجليزية ، وهى منقولة عن « هتلر » وانتصر احد الحاضرين لهذا الرأى الأخير ، وانكر نسبتها الى الرسول او الامام لما تنطوى عليه من معانى الغدر والخيانة التى تاباها عصمة المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وما أثر عن بطولة على كرم الله وجهه .

وقد انهينا النقاش على ان نكتب الى هذا الباب نستوضحه ما يأتى :

فقائل هذه الكلمة . المناسبة التى قيلت فيها — ان صح انها حديث شريف . المعنى المقصود بهذه العبارة . ضبط لفظة « خدعة » المراجع التى يمكن الرجوع اليها فى هذا الموضوع .

ع . س
مدرس ثانوى بالكويت

وردت هذه العبارة « الحرب خدعة » منسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل روى فى غزوة الخندق ، وهو مدون فى أمهات كتب التاريخ والسيرة الموثوق بها . نذكر منها : النهاية والبداية لابن كثير والسيرة النبوية لابن هشام ، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية ، واستشهد المسعودى بهذه الجملة فى الجزء الثانى من كتابه مروج الذهب على بلوغه عليه الصلاة والسلام فى البلاغة والفصاحة مبلغا يصعب ادراكه ، ويعز مناله ، لما تضمنه هذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز من مفاهيم ضخمة ومعان كثيرة .

واذا كان لفظ الخديعة يتسع لأكثر من معنى . فالمعنى المقصود منها هنا لا يمت بصلة الى الغدر ، ولا تشوبه من قريب ولا من بعيد رائحة الخيانة ، فالاسلام هو يكافح لأسمى الغايات — لا يبيح الغدر فى سبيل الفوز ، ولايستخدم الاساليب الخسيسة للوصول الى الغاية الشريفة ، اذ الوسيلة من الغاية والغاية من الوسيلة .

●●●

والمناسبة والظروف التى حدث فى جوها هذا النطق النبوى الكريم هى وحدها الاسلوب المنطقى لتحديد المراد بالخديعة فى الحديث . واذا كان اهل التأويل والتفسير يستعينون فى فهم المراد من النص القرآنى بأسباب النزول لما تلقيه من اضواء كاشفة تنير للفكر طريقه ، وتحدد للعقل مسيره فى معرفة المعنى المقصود من اللفظ الذى يتسع لأكثر من معنى — فينبغى أن يتبع هذا فى فهم السنة النبوية وشرحها .. وكثيرا ما أدى القصور عن اتباع هذا الاسلوب السديد فى الفهم والادراك لمعانى الكتاب والسنة — الى الشطط بالمقصرين فى التأويل ، أو السطحية فى الشرح والتفسير ، فان النظر المجرد الى النص الكريم مبتورا عن ظروفه وملابساته ، بعيدا عن أسبابه وموحياته قد أدى الى الخلط فى فهم تعاليم الاسلام . والاخطاء التي تورط فيها المسلمون فى العصور المتأخرة نتيجة سوء الفهم للكتاب والسنة كثيرة . ومن أجل هذا فاننا نحمد للسيد ع. س كاتب هذه الرسالة ، مسلكه الرشيد فى مطالبته بذكر المناسبة التى قيلت فيها هذه الجملة ان صح أنها حديث شريف .

ان الخدعة فى الحرب التى وردت فى الحديث تعنى تثبيط العدو ، وتخذيله وتوهين عزمه وكسر شوكته ، وتفويت غرضه عليه ، وذلك بسلوك مسلك الحيلة لايجاد ثغرة بين صفوفه ، وايقاع الفرقة بين احزابه حتى يكفوا عن القتال ، وينقلبوا خائبين وقد أشار القرآن الكريم الى هذا حيث قال سبحانه « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفي الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .

●●●

أما المناسبة التى قيل فيها هذا الحديث فهى غزوة الخندق — كما أشرنا الى ذلك — والحديث نفسه فيه بيان واضح للخديعة الحربية ، وصورة تنفيذية لها وهى خدعة أغنت المسلمين أيما غناء عن معركة لا يعلم عواقبها الا الله ، وما ظنك بمعركة يجد المسلمون فيها أنفسهم فى المدينة محاصرين بعشرة آلاف جندى من قريش وكنانه وغطفان وعرب تهامة وعرب نجد وغيرهم . فضلا عن وجود عدد كبير من يهود بنى قريظة داخل المدينة لا يوثق بعهدهم ولا يؤمن جانبهم ، لا شك ان كسب هذه المعركة يعتمد اكثر ما يعتمد على الرأى والمكيدة أو قل الخديعة اكثر مما يعتمد على الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمى بالنبال ، وهذا هو الذى اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الحرب خدعة . اذن ما هى الخدعة وكيف تمت ونجحت ؟

كان من تدبير الله وصنعه لنبيه أن أسلم نعيم بن مسعود سيد غطفان بعد أن أحاطت أحزاب الشرك بالمدينة وطوقتها من جميع الجهات . قال ابن اسحاق :

جاء نعيم ، وقال يا رسول الله اني اسلمت ، وان قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرني بما شئت .. وتستطيع أن تدرك مبلغ الخطر الذى كان يتعرض له المسلمون ، وعظم المسئولية التي كان يستشعرها الرسول فى هذه الظروف من رده صلى الله عليه وسلم على نعيم حيث قال له : انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ــ ان استطعت ــ فان الحرب خدعة ، وعسى الله أن يصنع لنا .

فهم نعيم فى الحال الدور الذى يجب أن يقوم به ، فخرج لفوره حتى أتى يهود بنى قريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم .

قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم .

فقال : ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فأنتم البلد بلدكم . فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم ، ولا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وأموالهم ونساؤهم وأبناؤهم فى بلادهم ، فليسوا مثلكم . فان انتصروا فلهم النصر والمغنم ، وان انهزموا لحقوا ببلادهم ، وتركوكم للمسلمين ، ولا طاقة لكم بهم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون تحت أيديكم ثقة لكم حتى تضمنوا أن يثبتوا فى قتال محمد ، ولا يفروا .

فقالوا له جميعا : لقد أشرت بالرأى .

ويترك نعيم بنى قريظة ، ويتوجه الى مشركى قريش ، فيقول لهم : قد عرفتم ودى وفراقى محمدا .

قالوا : نعم .

قال : وانه بلغنى أمر قد رأيت حقا على أن ابلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل .

قال : تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه يقولون : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن ناخذ لك من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ، فنقتلهم حتى نستأصلهم ، فارسل اليهم ان نعم . فان بعث اليكم بنو يهود يلتمسون رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج من عندهم وأتى غطفان ، وقال لهم مثل ما قال لقريش .

وهكذا أتقن نعيم دوره فى تمثيل دور الصديق الوفى لكل من اليهود والمشركين ، ونجح فى حيلته وخديعته .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس من الهجرة ارسل ابو سفيان ابن حرب ورؤوس غطفان بعكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان الى

بنى قريظة ليقولوا لهم : لقد طال حصارنا للمدينة ، ونفدت ميرتنا ، وهلك الخف والحافر ، فاستعدوا غدا (السبت) للقتال .

فكان رد اليهود : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولن نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون تحت أيدينا ، فانا نخشى ان ضسرتم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تفروا الى بلادكم وتتركونا لمحمد وأصحابه . ولا طاقة لنا بهم .

فلما رجع عكرمة الى قومه بهذا الجواب . قالوا والله ان الذى حدثنا به نعيم بن مسعود لحق ، وأرسلوا الى بنى قريظة أنهم لن يعطوهم رجلا واحدا من رجالهم . عندئذ تحقق بنو قريظة من صدق نعيم .

وهكذا نجح نعيم فى تمزيق شمل الحلفاء ، وفعلت خديعته ما لا تفعله السيوف والرماح واتم الله صنعه لنبيه فارسل على اعدائه الريح فى ليلة شاتية باردة كفأت قدورهم وخلعت خيامهم ، وقذفت الرعب فى قلوبهم فانقلبوا خائبين .

●●●

واما ضبط لفظ « خدعة » فقد جاء فى محيط المحيط . وفى الحديث الحرب خدعة أى تنقضى بخدعة . قال ثعلب والحديث باللغات الثلاث — فى حركة الخاء — فالفتح على أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة ، والضم على أنها آلة الخداع والكسر لأنها تخدع أصحابها لكثرة وقوع الخداع فيها .. ثم قال والفتح أفصح .

ويقال : ان معنى كون الحرب خدعة ان الظفر بها يكون بحسن التدبير والحزم ، لا بمجرد ،الشجاعة والاقدام كما قال أبو الطيب المتنبى :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم

أدنى الى شرف من الانسان

ولربما طعن الفتى أقرانه

بالرأى قبل تطاعن الاقران

ومن هذا القبيل ما حكى عن عنترة العبسى أنه قيل له : أنت أشجع العرب وأشدهم بطشا ، فقال : لا . فقيل له : كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس ؟ قال : انى أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل مدخلا الا اذا رأيت لى منه مخرجا .. والحرب خدعة .

فالخدعة غير الخيانة والغدر . وفرق كبير بين خدعة وخدعة .

بأقلام القرّاء

اليهود ... اليهود

طالعتنا مجلة لواء الاسلام القاهرية بمقال تحت هذا العنوان جاء فيه :
ألق بنظرات سريعة على أوربا وأمريكا ومن وراءهما — هل ترى فى مواخير أوروبا وحاناتها الا أنها تدار بأموال يهودية ، ويوجهها يهود ؟ وهل ترى دور أنواع الخيالة التى تشيع الفاحشة ، وتنشر الفساد وتحل النخوة ، وتقتل العزيمة الا أنها تدار بشركات يهودية ، وهل ترى الآراء التى تحل عرا الجماعات وتقطع صلاتها ، وتفك كل رباط خلقى ، وتثير الاحقاد بين الامم الا صادرة عن رؤوس يهودية ؟ وهل ترى المذاهب التى تهدم الاديان ، وتقطع وشائج المودة ، وتهدم شكائم الاخلاق الا نابعة من الاوساط اليهودية ومن يمالئونهم أو يقاربونهم أو ينتمون الى أصول لهم ؟ انهم يريدون أن تكون الانسانية بورا دائما ، وأن تكون أمورها فرطا فى كل الاحوال ، ولا تماسك الا فى جمعهم ، ولا قوة الا فيهم .

ان اليهود هم خلفاء ابليس فى هذه الارض ، وهم اداته التى يستخدمها لاغواء البشر ، وهم الطغمة التى يتخذ منهم أعوانه ، وحزبه ، يحادون أهل الخير ودعاته .

وانهم فى كل بلد دخلاء فيه ، لا ينتمون اليه ، ولا يتخذون جنسيته ، بل لهم رباط يربطهم ، يجتمعون به على عداوة الناس أجمعين .

وان القرآن لم يخاطب الاخلاف بما كان عليه الاسلاف الا اليهود ، فما خاطب المشركين بجرائم من سبقوهم ولا خاطب النصارى بأخطاء أسلافهم ، ولكن خاطب اليهود بما كان عليه من سبقوهم فهو قد نسب عبادة العجل اليهم جميعا ، مع أن عبادة العجل كانت من السابقين ، ولم تكن من الحاضرين ، ونسب قتل النبيين اليهم جميعا مع أن القتل كان من أسلافهم ، ولكن قال سبحانه وتعالى :

« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

ولماذا اختص القرآن اليهود بذلك ؟ السبب فيما يظهر أنهم لعدم اندماجهم فى الناس ، وبعدهم ، وانحيازهم عنهم جعلهم مهما تتخالف عصورهم ، وتتباين أزمانهم يعيشون فى جو نفسى واحد ، وهم مترابطون برباط جماعى واحد ، فكل الناس تحول أحوالهم ، وتتغير تقاليدهم وبيئاتهم الا اليهود ، فان بيئتهم واحدة واجتماعهم واحد ، يتخذون الناس مطايا لأهوائهم ، ولا يعملون لنفع غيرهم الا اذا كانت العقبى لهم وكل ما فيهم من شرور وحرص على الحياة ، ومادية وحسد وأثرة لا ايثار فيها ، هو نحلة لحاضرهم ولماضيهم ، ويتشابه الماضى والحاضر فيها على سواء .

واذا كان القرآن الكريم قد نعى عليهم اكلهم الربا وقد نهوا عنـــه ، فانك واجد فيهم الربا أساسا لمعاملتهم مع الناس ، ولا يتعاملون به فيمـا بينهم ، فاليهودى لا يأخذ الربا من اليهودى ولكن يأخذه من غير اليهودى وقد نشروه فى العالم ، وتحكموا فيه عن طريقه ، والمدنية الربوية نستطيع أن نسميها مدنيـة يهودية والاقتصاد القائم على الربا هو اقتصاد يهودى من كل وجوهه ، وبذلك سيطروا على العالم الاقتصادى الذى يقوم على الفـائدة ، لأنهم اربابهـا ، وحماتها .

وان القرآن الـكريم قد جعل اليهود موضع الدراسـة للآفات النفسية والاجتماعية التى تئوف الخلق الانسانى ، وكما أن ابليس جعل موضع دراسة لأصل الشر فى هذا الوجود ، جعل القرآن اليهود موضع الدراسة للآفات التى تعترى الجماعات وتسكن فيها مع كثرة الدعوة الى الخير من المبعوثين اليهم .

ورابطوا واتقوا الله

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى كلمتها الافتتاحية تحت هذا العنوان ، تقول :

ان على الطريق الرائدة التى تطل منها اشراقة الامانة والهـدى صوى وأمارات كان منها قول الله القادر القاهر : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وهذا يعطى ان الصبر والمصابرة والمرابطـة وتقوى الله عز وجل أمور وعناصر أساسية تأخذ بالامة الى طريق الفلاح والنصر ، وهى عوامل تشـكل وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة ولا الانفصام .

والذى يبدو للناقد البصير ، على ضوء تجاربنا الرائدة ، أن هذه العوامل الاساسية المشرقة ، لا بد أن تنتظم كيان الامة فكرا وعملا . فالصبر فى هذا الاطار ليس استكانة ولا خضوعا ، ولكنه ايمان بأن العاقبة للحق ؛ وثقة بما عند الله من نصر للمؤمنين المجاهدين ، ومثابرة على العمل بهمة لا تعرف الكلال .

أما المصابرة فهى مغالبة ، وهى نزال ، وهى عراك وكفاح لتغيير واقع الم ، وكارثة نزلت ، واعتقاد أن العمل اذا لم ينجح اليوم فهو بذرة طيبة فى أرض طيبة ، لا بد أن تؤتى أكلها ولو بعد حين ، وانك لتشم من التعبير بالمصابرة وفيه المفاعلة والمشاركة رائحة الجد والعرق والنصب ، وتفكر وكأنك تلمح المحاولة الصادقة للتغلب مع العقبات ، وتثبيت الاقدام للصعود ، والمعاناة الجادة الواعية لتحطيم الاغلال وفك القيود .

أما المرابطة وهى شقيقة الصبر والمصابرة . فهى الوقفة العنيدة المؤمنة على الثغر أمام العدو ، واليقظة بعين ساهرة على الحدود ، وهى تعنى كل معـانى التأهب الحقيقى ، ووعى القلب ويقظته ، والادراك العميق لأبعاد السهر والضنى فى هذا المكان أو ذاك .

ولن تجد المرابطة فى الاسلام قاصرة على الخارج ، وانما هى أيضا مرابطه للشر وعوامل الانحراف والتخلخل فى الداخل ، كيما تكون الامة بكامل طاقاتها المادية والروحية ، العملية والاخلاقيـة والسلوكية ، معبأة تعبئـة كاملة غير منقوصة تعمل عملها من أجل يوم لا بد أن يكون .

وملاك ذلك كله التقوى . . الامر الذى يقفنا أمام المسئولية والواجب ويعطى للعوامل السابقة معناها ، ويوجهها بأمانة نحو أهدافها ويضع كل واحد منهـا موضعه ، بحيث يتكامل البناء ، ويأخذ العمل طريقه الى النصر .

بأقلام القرّاء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون ان تلتزم المجلة بآرائهم ..

اقوال تحتاج الى اعمال

من مقال تحت هذا العنوان للأستاذ خليل الهنداوي يتحدث فيه عن شقاء الانسانية نتيجة اغراقها في المادة وحاجتها الماسة الى المعاني الروحية التي تصلها بالله ، وتسعدها في الحياة نقتطف ما يأتي :

ان الانسانية اليوم لا تشكو شيئا كفقدها « المعاني الروحية » ، واكتفائها بظواهر الأشياء دون أن تدرك البواطن منها ...

هذا هو داء العصر في كل مكان ... فالعلم — مثلا — نؤمن بتقدمه ، ولا نؤمن بغرضه النبيل لتقدم الانسان ... والحضارة نؤمن بآلاتها التي يسرت لنا الحياة ، ولا نؤمن بمعناها الروحي الذي يجب أن يكون غاية الانسان ، والدين نقوم بتعاليمه دون أن تنفذ الى أرواحنا معانيه المشرقة السامية ... والمثل العليا انما تحيا بأصحابها ، لأنها ليست معاني مجردة ، وانما هي قبل كل شيء معان مجسدة ، تتجسد بأعمال أصحابها ، وتتمثل بالذين يعيشون من أجلها ، وعندما تخلو المثل العليا من « المعنى الروحي » الذي هو غايتها تصبح تقاليد جامدة ، لا روح فيها ولا حياة . والمثل العليا التي لا تتجسد في الأعمال لا يمكنها أن تبني الانسان ، أو ترفع المجتمع السامي ...

اننا في حاجة الى أن نعود بمعنى الدين الى غايته الحقيقة التي نزل من أجلها ، أن نرفعه من المظاهر الى البواطن ... واذا لم نفهم من الدين جانبه الروحي والانساني فان الذنب ذنبنا ، لا ذنب الدين ، لأننا لم ندرك معناه الحقيقي ...

اننا في سبيلنا الى أن نفهم أن الصلاة ليست قياما وحده ، وانما هي انقطاع عن الأرض ، لتهبط علينا روحانية السماء السخية ، والتفات الى الجانب الروحي الذي لا تتحقق الانسانية الا به ... وما كان معنى الوقوف بخشوع امام الله الا التمرد على المادة التي تريد أن تقيدنا بأهوائها وملذاتها ... والانطلاق من قيود الانسان الذي يستمتع بتقييد الانسان .

وهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم أئمة وهداة ما كان أجدرهم بأن يذكروا قول علي « من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن

تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم . »

وهنا ... يصيب القائل الحكيم الداء الذى ينخر فى نفوسنا ... فان المثل العليا لا تحيا بمعانيها المجردة ... وانما تحيا بالأمثلة الحية التى يرمز اليها أصحابها . ونحن لا تنقصنا الأقوال ، وانما تنقصنا الأمثلة الصادقة الحية التي يرمز اليها الرجال ... وما كان لدعوة مهما بلغت من التسامي — ان تجد طريقها الى الناس ، اذا لم تحمل هذه الدعوة روح صاحبها الى الناس ...

بهذه الروح بشر الأنبياء ، وعاشوا من أجلها ، وكانوا مثلا صادقا لها ، ورحمة الله ، بعد ذلك ، واسعة لمن شاء رحمته ، وروح الله شامل لمن طلبه ، والفقيه كل الفقه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤيسهم من روح الله .

وهل يطمع المسلمون في أكثر من هذه المعانى الروحية التى عللها (على) كرم الله وجهه في العبادات المفروضة اذ قال « فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك ، والصلاة تنزيها عن الكبر ، والزكاة تسبيبا للرزق ، والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق ، والحج تقوية للدين ، والجهاد عزا للاسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر ردعا للسفهاء ، والقصاص حقنا للدماء ، وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ، وترك الزنا تحصينا للنسب ، وترك الكذب تشريفا للصدق ، والسلام أمانا من المخاوف ، والأمانات نظاما للأمة » .

هذا هي المعانى الروحية التى جعلت الأرض تطلبهم حين طلبوا السماء .

ليكن شعارنا القوة

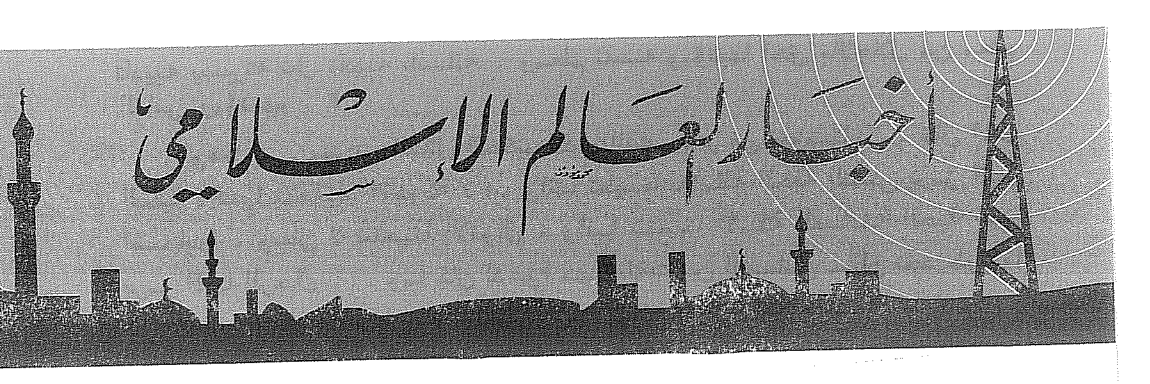
ويتحدث الدكتور سعيد محمد الخطيب — بيروت — تحت هذا العنوان فيقول .

نحن المسلمين عين ماء تجرى مياهها منذ الأزل غزيرة صافية رقراقة ... وعلى مرور الزمن تراكمت الرمال عليها ، وها نحن اليوم نزيل تلك الرمال بقوة وايمان ، وها قد بدأت المياه تنساب من جديد .. تجرى لتسقى العالم الحضارة والعلم الصادق الأصيل الذى نبع من أرضها أول ما نبع .

وهناك بقعة من أرضها .. قطعة من أكبادنا تشويها المرارة وينغصها الأسى والألم والحرمان فان تلك الأرض هى أعز بقعة من قلب الأمة العربية المسلمة اغتصبها الصهاينة من أهلها الحقيقيين .. لكن عزمنا على استرجاعها وطيد والتاريخ علمنا أن الأمة لا تقهر اذا احتمت بالله .. وأن الأمة العربية أصيبت بكدمة شديدة من جراء ما منيت به من هزيمة وعار وخذلان ، لكن العدو لن يفلت من يدها هذه المرة لأن العرب أدركوا أن القوة والنيران والضراوة هى السلاح الوحيد الفريد الناجع الذى يقنع الأعداء ويكفهم عن عوائهم وعدوانهم .. انهم ذئاب لا ينفع معها اللين بل القوة والحزم .

ها قد بدأت حجب الظلام ترتفع وترتفع رويدا رويدا — وتدريجيا عن دنيا العرب والمسلمين ، وغدا سيستعيدون مجدهم الغابر التليد ..

غدا ستعلو صيحات الشهداء والأبرياء واليتامى والمشردين .. والأرجاء ... وغدا ستتحول الأمة الاسلامية فى حربها مع الاعداء المغتصبين الى قوة .. لن تبقى ولن تذر .. وغدا سينسل سيف العدالة الحاسم ليقطع رؤوس الغاصبين .. وسندحر الصهاينة الى غير رجعة .



الكويت

● يقضى حضرة صاحب السمو الأمير المعظم فترة للراحة والاستجمام فى مصيفه بلبنان بعد أن حضر سموه مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطوم ، وأجرى بعض الفحوصات الطبية فى باريس .

● تبادل حضرة صاحب السمو الأمير المفدى وفضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر برقيات التهنئة والشكر بمناسبة جهود سموه حفظه الله فى القضايا العربية الراهنة .

● بحث مجلس الوزراء فى جلسة استثنائية التطورات العربية الراهنة وتأمين مبلغ (٥٥) مليون دينار للواجب المقدس نتيجة العدوان الصهيونى .

● رأس سعادة وزير الخارجية وفد الكويت الى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فى دورتها الحالية .

● رأس معالى وزير الارشاد والأنباء الوفد الكويتى الى مؤتمر الاعلام العرب في تونس .

● ألقى رئيس وفد الكويت في المؤتمر البرلمانى الدولى خطابا دعا فيه الى ادانة اسرائيل وضرورة انسحابها من الأراضي العربية .

● تبدأ الدراسة في الكليات الجامعية الأربع في الرابع عشر من الشهر الحالى ، ويتوقع قبول عدد كبير من الطلبة هذا العام .

القاهرة

● قرر مجلس الجامعة العربية بالاجماع تجديد مدة شغل السيد عبد الخالق حسونة لمنصب الأمين العام حتى ١٥ مارس القادم .

● وجه مجلس الجامعة العربية نداء الى جبهة تحرير الجنوب المحتل والجبهة القومية وجميع الفئات الوطنية من اجل وحدة الصف في هذه المرحلة الحاسمة التى يمر بها شعب الجنوب من اجل الاستقلال .

● رفعت الحراسة عن أموال وممتلكات الرعايا السعوديين ويبلغ عددهم (٨١) عائلة وشركتين وستسلم هذه الأموال والممتلكات لهم فوراً .

● ينتظر أن يقوم الامام الأكبر بزيارة المسلمين في آسيا الوسطى تلبية لدعوة وجهها اليه زعيم المسلمين هناك .

● قرر مجلس الجامعة العربية تخصيص مبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرليني لمساعدة الطلبة الفلسطينيين من ضحايا العدوان الاسرائيلى .

● تقرر تأجيل الدراسة فى المعاهد الأزهرية في منطقة القناة شهرا ينتهى فى الثالث والعشرين من هذا الشهر .

● وجهت الجامعة العربية الدعوة الى الدول الأعضاء والى امارات قطر وأبى ظبى والبحرين لحضور مؤتمر وكلاء وزارات الاقتصاد العربية الذى يعقد في الجزائر فى هذا الشهر .

الريــــاض

● قام جلالة الملك فيصـــل بزيارة الصومال بدعوة من رئيس الجمهورية الصومالية .

● وافقت وزارة المعارف على تقديم (٨٠) منحة دراسية لطلاب الجنوب العربى فى مختلف مراحل التعليم وتقديم ٨ منح للطلبة الأندونيسيين .

● يدرس المسئولون مشروعا لاقامة مدرسة ثانوية نموذجية اسلامية فى احدى مناطق لندن تقدر تكاليفها بربع مليون جنيه استرليني .

● وصل الى الرياض وفد من الخبراء لدراسة مواقـــع تقام عليها كليـــة الطب لامداد البلاد بما تحتاج اليه من الأطباء السعوديين .

بـغــــداد

● يتوقع أن يوجه فخامة الرئيس العراقي الدعوة للملوك والرؤساء العرب لعقد مؤتمر القمة القادم فى بغداد .

● ذكرت صحيفة الجمهورية العراقية أن الرئيس العراقي أرجأ الزيارات التى كان متوقعا أن يقوم بها الى عدد من الدول العربية والصديقة .

● وافق مجلس الوزراء على فرض عقوبـــة الاعدام علـــى جميع أعمـــال التجسس سواء فى السلم أو الحرب وذلك بسبب الظروف التى تمر بها الأمـــة العربيـــة .

عمـــــان

● دعا جلالة العاهل الأردنى الصحافة الى معالجة القضايا العربية بعيدا عن الانفعال والسطحية وقال ان مؤتمر القمة العربى الأخير أكد ضرورة العمل الاعلامى لكسب أكبر عدد من الدول فى العالم .

● عقد مؤتمر اسلامى كبير شهده ممثلون من جميع أنحاء العالم الاسلامى لمناقشة وسائل انقاذ المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الأخرى من الاحتـــلال الاسرائيلى .

● نشرت وزارة الاعلام بيانا وقعه (٨٠٠) من الزعماء الدينيين وأساتذة الجامعات والمحامين والكتاب فى الولايات المتحـــدة يعلنون فيه تأييدهم للدول العربية فى موقفها ضد الصهيونية المعتدية .

● قامت السلطات المحتلة بحملة اعتقالات وقد اعتقلت الشيخ عبد الحميد السايح وأبعدته الى الضفة الشرقية .

الخـــرطــوم

● سيقوم فخامة الرئيس السوداني بزيارة موسكو فى أوائل العام القادم بدعوة من الاتحاد السوفييتى .

● أعلن وزير المالية والاقتصاد السودانـــى أن الولايات المتحدة تمـــارس سلسلة من الضغوط الاقتصادية على البلاد بسبب موقف السودان من القضية العربيـــة .

● ذكر وزير الداخلية أن لدى الحكومة تقارير تؤكد وجود معسكر للاجئين فى منطقة (ترفولا) الأثيوبية المتاخمة للحدود السودانية حيث يتم تزويد المتمردين بالأسلحـــة .

● تدرس الحكومة اقتراحا بالغاء جوازات وتأشيرات السفر بين القاهرة والخرطوم اكتفاء بالبطاقات الشخصية .

أخبـــار متفرقـــة :

● تبرعت الجالية اللبنانية فى نيجيريا بثلاثة آلاف كيلو من الأقمشة لضحايا العدوان الاسرائيلى.

● بدأ العمل فى طشقند لاصدار طبعة جديدة من القرآن الكريم على نسق المصحف العثمانى تلبية لحاجة المسلمين فى المنطقة .

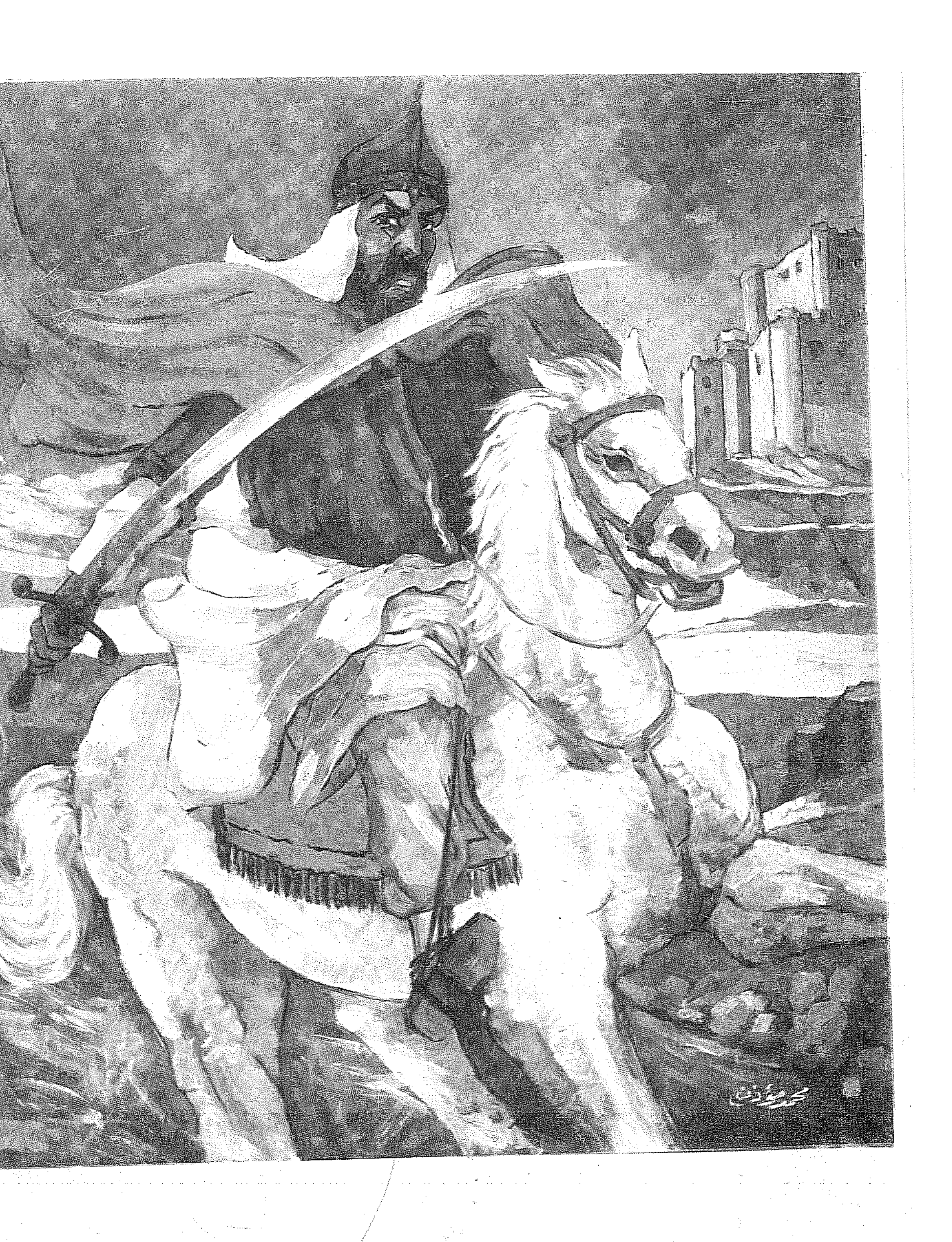
اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ ص.ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢
جده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص.ب ٦٣٥
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كردى ص.ب : ٣٠٣
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشمالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صلاح الدين الأيوبى
بطل العروبة والاسلام منقذ بيت المقدس ومحرر فلسطين

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ